Al prof. Cel. Schiaparelli

E. Te.

(Roma 15 maggio 93)

كتاب

التحفة الأنيسة

في

النوادر النفيسة

للمدارس

تاليف حنّا أفندي أبكاريوس
عُفي عنهُ

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧١
بنفقة الفقير خليل سركيس

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الحمدُ لله الذي جعل الأوَّلِينَ تذكِرَةً للآخِرينَ . أمَّا بعدُ فيقولُ الفقيرُ الى رحمة ربهِ القدُّوس . حنا بن يعقوب ابكاريوس هذه نبذةٌ اقتطفتُها مِنْ طيّباتِ الأحاديثِ الأدبيَّةِ ومُلَحِ النوادِرِ الحكميَّةِ يتفكَّهُ بمطالعتِها القاري الأديبُ ويلتذُّ بسماعِها الحاذِقُ النجيبُ اذ فيها مِنَ اللطائفِ والنفائس . ما يُفيدُ أبناءَ المدارس . ولما تمَّ جمعُها . وطاب سمعُها . سمَّيتُها التحفةَ الأنيسةَ . في النوادِرِ النفيسةِ . فأقولُ وباللهِ التوفيقُ

محبة الوالدين

حُكِيَ عَن فريدريكوس الثَّاني ملكِ برُوسيا أنَّهُ دَق الجرَس في بعض الليالي تنبيهاً لحُضور الخادم حسبَ عادة الإفرنج فلَم يحضر أحدٌ أمامهُ فنهض مسرعاً وفتحَ بابَ المخدع فوجد غلامهُ راقداً فتقدَّم إليهِ لينبّههُ ولمَّا اقتَرَب منهُ وجدَ رقعةً بارزةً من جيبهِ فأرادَ الملكُ أن يعرف ما هيَ تلكَ الرقعةُ فتناولها بيدهِ وفتحَها وإذا هي رسالةٌ واردةٌ للغلام من عند أمّهِ تمدحه وتثني عليهِ على الدَّراهم التي أرسلها لها من أجرتهِ لمساعدتها وفي خاتمة كلامها تطلب لهُ من الله التوفيق والبركة وأن يعوّض عليهِ أضعاف ما يخسرُ بسببها فلما وقف الملكُ على هذا الخطاب ذرفت عيناهُ بالدموع ودخل في الحال إلى مخدعهِ وتناول قبضةً من الدنانير

ووضعها في صرّة وجاء إلى الغلام وألقاها في
جيبه حيث كانت الرسالة ثمّ رجع إلى مكانه ودقّ
الجرس دقًّا قويًا فاستيقظ الغلام ونهض مرتعشًا
خائفًا ودخل على مولاه فقال له الملك اراك كنت
راقدًا فازداد خوفه وأراد ان يعتذر وبينما هو في
قلق وحيرة إذ وضع يده في جيبه كأنه يفتّش على
شيء فعثر بالصرّة المذكورة فأخرجها وهو محتار
وقد تغيّرت أحواله وعلاه الاصفرار ثمّ نظر إلى
الملك وأخذ يبكي ويتنهد فقال له الملك ما بالك
تبكي وما الذي أصابك فألقى نفسه على رجلي الملك
وقال إنني لا أعلم ياسيدي من أين أتت إلى جيبي
هذه الدراهم التي وجدتها الآن وإنّي لا أشكّ بأن
عدوًّا فعل معي ذلك قاصدًا هلاكي فقال له الملك
كن مطمئنّ الخاطر من هذا القبيل واعلم يقينًا بانّ الله
تعالى عزّ وجلّ يعطينا الخيرات في اكثر الاوقات

ونحنُ نيامٌ فأرسِل الانَ إلى أُمِّك هذا الذهبَ الذي وَجَدْتَهُ في جيبِكَ وأقرِها سلامي وقُلْ لها اني مِنَ الان وَصاعِدًا ساهتمٌ بها وَبكَ ولا انساكُما فلما سمعَ هذا الكلامَ تحوّلتْ احزانهُ الى فرحٍ وسرورٍ وقد أيقنَ وَتاكّدَ باختبارِهِ الشخصي أَنَّ الواسطة الوحيدةَ غالبًا لسعادةِ الناسِ ونجاحِهم في هذا العالمِ هي العطايا والحسناتُ التي يقدّمونها اسعافًا لمساعدةِ الناسِ في وقتِ المصائب والاحزانِ لا سيما نحوا ولئكَ الذينَ لهم عَلَيهم الأتعابُ وَالمعروفُ في هذه الحيوة

المطر

حُكِي عن تاجر انهُ بينما كان راجعًا الى منزلِهِ من بعضِ القرى في يومٍ شديدِ البردِ وهو راكبٌ على حصانِهِ وتحتهُ خرجٌ من المالِ اذ انتشرتِ السُحبُ وتراكمتِ الأمطارُ بانسكابٍ كافواهِ القِرَبِ حتّى ابتلّتْ ثيابهُ فضاقَ صدرهُ من ذلكَ وتضجّرَ وأخذَ يذكرُ

كيفَ انَّ الله تعالى لم يعطِهِ طقساً جيّداً في سفرهِ هذا وما زالت هذه الافكارُ تطرقهُ وتقلقهُ إلى أنْ أشرفَ على غابةٍ مغضّةٍ جدًّا وكانت موحشةً ومخيفةً فارتاعَ وخافَ ومِنْ شدَّةِ خوفهِ حوَّلَ افكارَهُ من الشكْوَى إلى الخوفِ الشديدِ فبينما هو كذلكَ وإذا برَجلٍ قاطعِ طريقٍ قد ظهرَ عليهِ من جوانب تلك الغابةِ وهوَ متقلِّدٌ بالسلاحِ وانتصبَ امامَهُ كالعمودِ فلمَّا رآهُ التاجرُ زادَ خوفهُ ورُعبهُ وأيقنَ بالهلاكةِ وكانَ ذلكَ اللصُّ عند ما رأى التاجرَ أهوَى عليهِ بالبندقيةِ واطلقَ الزنادَ قاصداً قتلهُ طمعاً بمالهِ ولكنْ بما انَّ البارودَ كانَ مبتلاً منَ المطر لم يذهبِ الطَّلقُ فاغتنمَ التاجرُ حينئذٍ فرصةَ اللصِّ بتصليحِ بندقيتهِ ولكز حصانَهُ واطلقَ لهُ العنانَ وساقهُ باسرعِ ما يمكنهُ وفي اسرعِ وقتٍ صارَ في ابعدِ مكانٍ وحصلَ على النجاةِ ولمَّا اطمأنَّ من الخطر اخذَ يلومُ نفسهُ ويقولُ انَّني قد اخطأتُ

جدًّا لعدم صبري واحتمالي وقوعَ المطرِ المُرْسَلِ كعطيةٍ من لدُنِ العنايةِ الالهيةِ فلو كانَ الطقسُ صاحيًا لكنتُ غرقانًا بدمي وعبثًا كانَ اولادي ينتظرون رُجُوعي اليهم فالمطرُ الَّذي أَقلَقَنِي وَأَضجَرَنِي كانَ سببًا لسلامتي وحفظِ مالي

الصدى

قِيل انَّ غلامًا اسمهُ جرجس كانَ لا يعرفُ ما هو معنى الصدى فاتَّفقَ أَنهُ خرَجَ ذاتَ يومٍ إلى البريَّةِ وبينما كانَ يجولُ بينَ المروجِ والحقولِ اذ خطَرَ لهُ ان يصرخ فصاحَ بأَعلى صوتهِ قائلاً ها ها ففي الحال سمع إعادةَ هذه الكلماتِ بعينها خارجةً من وسطِ غابةٍ كانت قريبةً منهُ فاندهلَ واندهشَ وصوَّرَ لهُ فكرُهُ أَنَّ غلامًا يجاوبهُ من وسطِ الغابةِ ثمَّ صرخَ قائلاً مَنْ أَنْتَ ياهذا فاجابهُ الصَّوْتُ مَن انتَ ياهذا . فقالَ جرجسُ بالحقيقةِ إنَّكَ لَأَحمقُ وقليلُ العقلِ فاجابهُ الصَّوْتُ

احمقُ قليلُ العقلِ فعندَ ذلكَ اشتدَّ غضبهُ على هذه الاجوبةِ وحوَّلَ وجههُ نحو الغابةِ واخذَ يشتمُ ويتكلَّمُ بما لا يليقُ فكانَ الصدى يعيدُ لهُ شتائمهُ بكلِّ امانةٍ حرفاً بحرفٍ فاستعظمَ جرجسُ الامرَ ودخلَ في الحالِ إلى الغابةِ وتوغَّلَ في جوانبها مفتشاً على الولدِ الذي كانَ يظنُّ انهُ يخاطبهُ لينتقمَ منهُ ولما طالَ عليهِ الوقتُ ولم يرَ احداً منَ الناسِ رجعَ إلى بيتِ ابيهِ وحدَّثَ امهُ بالقصةِ قائلاً لها. لا خفاكِ بانَّ ولداً شرّيراً كانَ مختبئاً في جوانبِ الغابةِ قد شتمني شتماً قبيحاً فقالت لهُ امهُ وكانت قد عرفت باطن الطويةِ بالحقيقةِ انَّكَ لمغشوشٌ يا ولدي وما أنتَ الّا تشكو على ذاتِ نفسكَ لانكَ لم تسمع الّا نفسَ الكلماتِ التي نطقتَ بها لانهُ كما انكَ اكثرَ من مرةٍ نظرتَ صورةَ وجهكَ ترتدُّ منعكسةً عندَ رؤياكَ الموجةَ هكذا الانَ ارتدَّ اليكَ صوتكَ من وسطِ الغابةِ فلو كنتَ تكلَّمتَ برقةٍ وحشمةٍ لكانَ

ارتدّ اليك نفس الكلام الّذي نطقت به فهذا هو الحال الجاري بين الناس دائماً فان تصرّف الغير معنا هو غالباً صدى سلوكنا معهم فإنْ كان سلوكنا معهم حسناً يكون سلوكهم أيضاً معنا كذلك ولكن إن عاملنا امثالنا من الناس بالرداءة والغلاظة فلا يمكننا ان ننتظر منهم معاملة أحسن

الحصان المسروق

قيل إنّ رجلاً فلاّحاً كان له حصان من جياد الخيل وكان عنده بمنزلة عظيمة فاتّفق انّه افتقده ذات يوم عند الصباح حسب العادة فوجده مسروقاً من الاصطبل فتنغص عيشه وحزن على فقده حزناً شديداً ولما خاب أمله منه ولم يقف له على خبر قصد السوق الذي تباع فيه الخيل ليشتري له جواداً غيره وكان على مسافة ثلاث ساعات من منزله ولما وصل الى هناك أخذ يتأمل في الخيل التي برسم البيع ويمعن نظره فيها

فاتفق انهُ وَجدَ حصانهُ المسروق بينها فاندهشَ وتقدَّمَ اليه مسرعاً وقبضَ عليهِ من اللجام وصرخ امامَ الجمهور الحاضرينَ هناكَ هذا الحصانُ حصاني قد سرق من عندي منذُ ثلاثةِ ايامٍ والحمدُ للهِ قد وجدتهُ فما أتمَّ كلامهُ حتَّى فاجاءَهُ السارقُ وهو في زيّ تاجرٍ وقالَ لهُ بكلامٍ لطيفٍ دَعْ عنكَ هذا الكلامَ ايُّها العزيزُ فقد اخطأْتَ فيما تدَّعيهِ لانَّ هذا الحصانَ لهُ عندي اكثرُ من سنةٍ فكيفَ يمكنُ أنْ يكونَ حصانكَ ولكنْ ربَّما يوجدُ بينهما مشابهةٌ ومقاربةٌ فأسرعَ الفلاَّحُ ووَضعَ يدَيهِ على عينَي الحصانِ حتَّى حجبَهما عن أعينِ الناسِ ثمَّ التفتَ الى اللصِّ وقالَ لهُ أمامَ الحاضرينَ إنْ كانَ هذا الحصانُ حصانكَ كما تقولُ لا بدَّ ان تعرفَ عيوبهُ فبيّنْ ايَّةُ عينٍ من عينيهِ هي العوراءُ العلْيا اليمنى ام اليسرى وكانَ كلامهُ هذا على سبيلِ الامتحانِ لانَّ الحصانَ كانَ سليماً من كل عيبٍ واذ كانَ اللصُّ لم

يختبر الحصان بعدُ ولم يفحصهُ صدّق كلامهُ فارتبك وحار في امرهِ ولم يدرِ ماذا يجاوب غيرَ أنهُ كان ملتزماً ومضطرًّا للجوابِ فقال على الخيرةِ إنهُ أعورُ العينِ اليسرى فقال صاحبُ الحصانِ لقد ظهرت حيلتك وما أصبتَ في كلامكَ لأنَّ عينهُ اليسرى هي سليمةٌ من العيبِ فازداد خجلاً وخاف من الفضيحةِ وأجاب قائلاً على الفورِ لا لا ياسيدي اعذرني فأني قد أخطأتُ وكان مرادي أن أقول عينه اليمنى فذكرتُ تلك غلطاً حينئذٍ رفع صاحبُ الحصانِ يدهُ عن وجههِ وكشف عن عينيهِ اللتينِ كانتا سليمتينِ وصرخ بأعلى صوتهِ قائلاً قد تحقّقَ الآن كذبُكَ فيما تدّعيهِ وانكشف نفاقك فانظروا ايُّها الحاضرونَ انَّ الحصانَ ليس بأعورَ بل هو سليمُ النظرِ وقد اخترعتُ لهُ هذهِ الحيلةَ على سبيلِ الامتحانِ لإظهارِ حقي والحمدُ للهِ قد ظهر صدقي فاندهلَ الحاضرونَ من حذاقةِ هذا

ٱلرَّجُلِ وَنَباهَتِهِ وَأَخَذُوا يَضحَكُون وَيَتَهَكَّمُونَ على ذَلِكَ ٱللصِ وَيُصَفِّقُونَ بِأَيادِيهِم قَائِلِينَ أَمْسِكُوهُ أَمْسِكُوهُ فَوَثبَ عَلَيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلشُّبَّانِ فَقَبَضُوا عَلَيهِ فِي ٱلحَالِ وَأَوْثَقُوهُ وَسَلَّمُوهُ لِلحُكُومَةِ وَأَمَّا صاحب ٱلحِصَانِ فَإِنَّهُ رَجَعَ بِحِصانِهِ إِلى مَنْزِلِهِ وَهو مسرور ٱلفُؤَادِ على ذَلِكَ ٱلِاتِّفاقِ ٱلعجيبِ

اليقطينة والبلوطة

اِستَظَلَّ رَجُلٌ ذَاتَ يَوْمٍ تَحتَ شَجَرَةٍ مِنَ ٱلبَلُّوطِ عظيمَةٍ جِدًّا وَكانَ بِٱلقُرْبِ مِنْها يَقطِينَةٌ مُعَرَّشَةٌ على سِياجٍ جُنَينَةٍ فَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ فِي صغرِ جِرْمِ ٱليَقطِينِ وكِبَرِ أَثمارِهِ وَعِظَمِ البَلُوطَةِ وَصِغَرِ أَثمارِها وَلَمَّا طالَ عَلَيهِ ٱلحَالُ صارَ يَهُزُّ بِرأْسِهِ وَيَقُولُ آه لَوْ كُنتُ أَنا خالِقَ ٱلعالَمِ لَكُنتُ جَعَلتُ هذه ٱلبَلُّوطَةَ أَنْ تَأْتِي بِثَمَرِ هَذِهِ ٱليَقطِينَةِ وَتِلكَ ٱليَقطِينَةَ ٱلمِسكِينَةَ بِثَمَرِ ٱلبَلُوطَةِ ٱلصَغِيرِ وَهكَذا كانت تَكُونُ ٱلمَقادِيرُ عادِلَةً

مُعتدلة فما أتمّ كلامه حتى سقطت عليه بلّوطة فأصابت أنفه فجرحته وسال دمه فصرخ مرتعشاً مذعوراً قائلاً لقد نلت جزاءي بما أستحقه على قلة عقلي وسوء أفكاري فلو كانت هذه البلّوطة التي وقعت عليَّ يقطينة حسب ما طلبت لكانت لا محالة قتلتني وأعدمتني الحيوة

الملفوفة

قيل إنّ ولدين من أهل الصناعة وهما يوسف والياس مرّا يوماً على بستان من الخضر فالتفت يوسف إلى الياس وقال له أنظر يا صاحبي ما أحسن منظر هذا الملفوف إنني لم أرَ قطّ ملفوفاً بهذا الكبر فأجابه إلياس الذي كان طبعاً يحبّ المبالغة إني لا أرى شيئاً خارج العادة في هذا الملفوف لأني في مدة أسفاري في أطراف فرانسا رأيت ملفوفة كبيرة بهذا المقدار حتى انّ رأسها بدون مبالغة أكبر جدّاً من

قيمة هذه ٱلكنيسةِ ٱلتي تراها فتعجَّبَ يوسفُ مِنْ كلامِهِ
وَٱستعظمهُ وَكانَ نحاسًا يشتغلُ ٱلدسوتَ وَٱلخلاقين
فأجابهُ قائلاً انَّ كلامكَ لاَ يخلُو مِنْ مبالغةٍ وَلكنَّني
قدْ فطنتُ ٱلآنَ بأنَّني ٱشتغلتُ ذاتَ يومٍ لبعضِ ٱلناسِ
خلقينًا أعظمَ من هذه ٱلكنيسةِ فقالَ الياسُ يا للعجبِ
هذه قصةٌ غريبةٌ لمْ أسمعْ بمثلِها فما هوَ ٱلمرادُ وَٱلقصدُ
مِنْ خلقين كهذهِ لاقياسَ لكبرِها أجابَ يوسفُ قائلاً
لاَ تتعجبْ لأنَّ ٱلمرادَ بها هوَ لاجلِ سلْقِ مالفوفتِكَ التي
ذكرتَها فانَّ كبرَها يستلزمُ وُجُودَ حالةٍ تكونُ اكبرَ منها
فارْتبكَ إلياسُ في ٱلجوابِ وقدِ ٱعتراهُ ٱلحياءُ وَٱلخجلُ
ثمَّ قالَ قدعلمتُ ٱلآنَ ياصديقِي مُرادكَ وَفحوَى كلامِكَ
وَاني أعلمُ يقينًا انَّكَ لمْ تخرجْ قطُّ وَلا تحيدُ عنْ كلامِ
ٱلصدْقِ وَٱلحقِّ غيرَ أنَّ ٱلذي أوْجبكَ ٱلانَ إلى
ذَلكَ انَّما هوَ لِأجلِ توبيخي وَإظهار جسامةِ كذبتي
ٱلملفقةِ ٱلتي لا طائلَ تحتها

الاب اللطيف

رَبُّ عائلةٍ سافرَ يوماً الى مدينةٍ ما لأجل قضاء بعض أشغالٍ لَهُ هناكَ. واذ كانَتْ اشغالهُ مهمةً جدًّا لم يمكنْهُ الرُّجوعُ لى أوْلادِهِ وزَوْجتِهِ في الوَقْتِ الذي كانَ قد عينهُ لهُم قبلَ خرُوجِهِ مِنْ عندِهِمْ ولما طالت غيبتهُ أرْسلَ لهُمْ صندُوقاً كبيراً مملوءاً مِنْ ظرائف وتحفِ تلكَ المدينةِ وَأصحبهُ بمكتوبٍ يقولُ لهُمْ فيهِ يا أوْلادي الأعزَّاء كُونُوا أولاداً صالحينَ واتباء وَاصرفُوا أوْقاتكُمْ بالفرَحِ وَالسرورِ لأني قد هيات لَكُمْ تحفاً وَهدَايا نفيسةً أظرَفَ وأجمل جدًّا في البيت الذي أعدَدْتهُ لسكنكمْ وَسوْفَ أسْمحُ لكُمْ أنْ تخرجُوا لملاقاتي عِنْدَ قدومي إليكُمْ فعندَ وقوفِهِمْ على هذا المكتوبِ امتلأت قلوبُهم مِنَ الفرَحِ وَصرَخوا باعلى أصواتِهِم قائلينَ ما ألطفَ أبانا وَما أحسنَ تحفَهُ وَهدَاياهُ التي يريدُ أنْ يرْسلَها لَنا فكما هوَ يحبنا كذلكَ نحنُ نحبهُ مِنْ

كل قلوبنا ونرغب على الدوام أن يكون مسرورًا ومرتضيًا من تصرفاتنا الحسنة امتثالًا لأمره آه ما أعظم فرحنا عند ما نلتقي به ونرى وجه هذا الأب اللطيف الوديع فقالت لهم والدتهم اعلموا يا أولادي الأعزاء أن الآب السماوي يعامل الناس كمعاملة أبيكم لكم ومع أننا لا نرى وجهه عيانًا فإننا نقبل منه ألف عطية ثمينة وبهذه الواسطة نعرف مقدار محبته فإن الشمس والقمر والنجوم والزهور والأثمار وكل محصولات الارض تأتينا من عنده والكتاب المقدس هو أشبه بمكتوب وارد منه لأبناء البشر يعلن به لنا إرادته الصالحة ويعدنا بالقبول والدخول يومًا ما إلى ميراثه الابدي في السموات وهناك نتمتع بخيرات وعطايا ثمينة لا تبور ولن تبلى ونفوز بأفراح ونعيم أبدي أعظم وابهج جدًا من جميع الأفراح واللذات التي يمكنا ان ننالها في هذا العالم الفاني فيجب علينا يا اولادي

الاعزاء ان نحبّ ٱللهَ من كلِّ قلوبنا وَنفعلَ ما يُرضيهِ وَليكُنْ عندكم ٱلرجاء وٱليقين التامّ بانَّهُ سوف يقبلنا في السماء حيث نشاهدهُ وَجهًا لِوَجهٍ وحيث فرحُنا لا يوصَفُ

بركةُ الماء

اتفق في بعض ايام ٱلصيف انهُ خرجَ احدُ ٱلشبانِ للتنزهِ في حقل ابيهِ في يومٍ شديدِ ٱلحرّ فمن شدَّةِ الحرّ وكثرة ٱلركض والنط احمرّت وجنتاهُ حتى كادتا تحترقان وسالَ عرقهُ على جبينهِ واعتراهُ العطشُ الشديدُ فبينما هو كذلكَ إذ اشرفَ على بركةٍ من الماء تحتَ شجرةٍ عظيمةٍ منَ البلوط وَكانَ الماء باردًا وَنقيًا جدًّا حتى كان يتلألأُ كالفضةِ المصقولةِ فلما رأى الماء القى نفسهُ عليهِ وَشربَ حتى امتلأَ بطنهُ وهو تعبان فشعرَ في الحال بضعفٍ شديدٍ وانكسارٍ في جسمهِ ورجعَ من فورهِ الى البيت وَعندَ وصولهِ اصابتهُ حمى قويةٌ

مضعضعة والقته طريح الفراش فبينما كان يتقلب على فراشه وهو يتوجع ويتململ من شدة المرض قال من كان يظن ان في هذا الماء الجميل سما قاتلا فقال له ابوه لا تظن ياولدي ان ذلك الماء النقي الذي شربته كان سببا لمرضك هذا وانما السبب الوحيد هو جهلك وعدم فطنتك

الجوزة

قيل ان ولدين وجدا ذات يوم جوزة تحت شجرة كبيرة فقال احدهما هذه الجوزة لي لاني انا رايتها اولاً وقال الثاني لا بل هي لي لاني انا التقطتها وما زالا يتشاجران بالكلام حتى انتهى الامر بينهما اخيرًا الى الشتم والضرب فبينما هما كذلك واذا بشاب قد مرّ بهما فراهما على تلك الحالة ففصلهما عن بعضهما ثم سالهما عن سبب خصامهما فحدثاه بقصة الجوزة فقال لهما تمهلا عليّ قليلاً وانا اصلح بينكما وافصل هذا الامر على احسن

دال ثم انهُ اخذَ منها الجوزة وكسرها واعطى جزءًا من قشرها الى الولد الذي راها اولاً والجزء الثاني الى الولد الذي التقطها ثم قال ضاحكًا واما قلب الجوزة فانا ابقيه لي كاجرةٍ على الحكم الذي قضيتُ فيهِ بينكما وهذا الحال يجري احيانًا في فصل بعض الدعاوي

الديك

انّ احدى السيدات كانت تستيقظ من النوم عند صياح الديك وتصيح على خادمتها ان تقوم للخدمة وكانت الخادمة تكره القيام في وقت مثل هذا فقالت في نفسها لا بدَّ لي ان انتقم من هذا الديك لانَّ وجوده يضرني جدًّا فامسكتهُ ذات يومٍ وذبحتهُ واخفت امره املًا بانها ستنام اكثر من الاول ولكن جاء الامر بخلاف ظنها لانَّ سيدتها اذ لم تعد تعلم حقيقة الوقت تمامًا اخذت من ذلك الوقت وصاعدًا ان تيقظها على الخيرة فكانت تارةً تقيمها ابكر جدًّا من الوقت المعتاد

وتارةً نصف الليل ايضًا فندمت الجارية على ذلك وقالت في نفسها من لم يكتفِ بما هو فيه وقع بما لا يرضيهِ ومن طلب الزيادة وقع في الخسران

الدجاجة

كان لامراة عجوز دجاجة تبيض لها في كل يومٍ بيضة واذ لم تقنع بذلك اخذت تزيد كل يوم في علوفتها املاً انها في هذه الواسطة تبيض لها بيضتين او ثلاثًا في كل يوم وانما زيادة الاكل احدثت للدجاجة سمنًا فانقطعت عن البيض

الاخ والاخت

ان يوسف وحنة اختهُ بينما كانا ذات يومٍ وحدهما في البيت التفت يوسف الى اختهِ حنَّةَ وقال لها تعالي يا حنَّةُ وساعديني بالتفتيش علَّنا نجد شيئًا من انواع الحلويات فناكلها في هذه الفرصة المناسبة فاجابت حنة ان كنت تستطيعُ يا اخي ان تذهبَ بي الى مكانٍ

حيث لا يرانا احد فاني اشاركك على هذا العمل فقال
لها اتبعيني الى الغرفة الصغيرة حيث يوجدُ اللبنُ والحليب
والسكرُ وهناك نصنع لنا منهُ قرصاً من الحلو ونتمتع بالذيذ
طعمهِ فقالت حنةُ انَّ جارتنا فلانة واقفةٌ تجاه الشباك
تشقف حطبها فترانا وحينئذٍ ينكشف خبرنا فقال لها
اذا كان الامر كذلك تعالي معي الى المطبخ لانَّ الخزانة
التي هناك يوجدُ فيها انيةٌ مملوَّةٌ عسلاً فنغمس فيهِ
خبزنا وهذا لذيذٌ ايضاً فقالت لهُ انَّ جارتنا الثانية
التي شباكها يكشف على المطبخ هيَ جالسةٌ الانَ هناكَ
تغزل فترانا حالاً فقالَ يوسفُ تعالي ننزل اذاً الى
حيثُ نجدُ تفاحاً فاخراً وهناك الظلام يخفينا عن جميع
اعين الناس فاجابت حنة وقالت لهُ يا اخي العزيز
اتظنُّ حقيقةً انهُ ليسَ يوجدُ احدٌ من الناس يستطيعُ
ان يكشفنا هناك ايضاً الاَّ تعلم انَّ هناكَ في الاعالي
(واشارت باصبعها الى السماء) عيناً ترى الى ماوراء كل

حجاب وحائط وتبصر جيداً في قتام الظلام فتأثر يوسف جداً من هذا الخطاب الاخير وبقي برهةً صامتاً ثمَّ انهُ صرخ قائلاً لقد صدقتِ واصبتِ يا عزيزتي في كلامك وانا اعلمُ انَّ الله حاضرٌ في كل مكان وزمان وعيناهُ تنظرانِنا وتراقبانِنا فيجبُ علينا من الانَ وصاعداً ان نصلحَ سيرتنا وان لا نرتكبَ اثماً فسرَّت حنةُ عندما رات اخاها قد تاثرَ من توبيخها وعباراتها اللطيفةِ واهدتهُ صورةً ظريفةً حيث كان يرى فيها عين الله محاطةً بشعاعٍ من نورٍ وباسفلها كانت مسطورةً هذه الكلمات وهي عينُ الرب ترانا وتراقبنا بدون انقطاعٍ

النظر

أرسلت امراةٌ ابنتها ذات يومٍ الى الحرش لتلتقط فطراً وعند رجوع البنت الى البيت قالت لامها تعالي وانظري فاني التقطتُ من الفطر احسنهُ واجودهُ ثمَّ كشفت لها وجه السلة وقالت تاملي يا اماهُ باحمرار

هذه الفطرة وحسن منظره الذي يشابهُ المرجانَ واماَّ ذلك الفطر الاخضرُ الذي جئتِ بهِ انت بالامس لم يعجبني شكلهُ ولذلك لم التقط منهُ فلمَّا سمعت امها كلامها استشاطت غضباً وقالت لها ياجاهلة وقليلة العقل انَّ هذا الفطرَ الذي تمدحينهُ وتفضلينهُ وان يكن جميل المنظر فما هوَ الاَّ سمٌّ وضررٌ واما الجنس الاخضرُ الذي تزدَرينَ بهِ نظرًا لعدم حسنهِ فهوالجنس الاحسنُ لامحالة فهذا هويا ابنتي الحال في اشياء كثيرة في هذا العالم فانها توجد فضائل ادبيةٌ لم يكن لها عندَ الناس الاَّ شهرةٌ وبعكس ذلك الرذائلُ الساطعةُ فانهُ يبتهج بها الجاهل وقليل العقل

الكلب النبية

حكَيَ عن رجل في البلاد الافرنجية انهُ كان لهُ ولدٌ مغرمٌ بالصيد فخرج ذاتَ يوم ليصطادَ واوسعَ في صدر البر فسرقهُ الوقت وهولا يدري لاشتغالهِ

بالصيد حتى ادركهُ المساء وهو في حرش بعيد عن المدينة فخاف على نفسهِ ولم يعد يمكنهُ الرجوعُ الى بيت ابيهِ لهجوم الظلام وبعد المسافة وبينما هوَ متفكرٌ في ذلك اذ حانت منهُ التفاتةٌ فرى داراً على ناحية من ذلك الحرش تبعد عنهُ نحو نصف ساعة ولم يكن غيرها في ذلك المكان فقال في نفسهِ انا اقصد هذه الدارَ فان وجدتُ اصحابها من الاغنيا اعلمتهم بحالي واقمت عندهم هذه الليلةَ وان كانوا من الفقراء ارضيتهم بشيء من المال وعند الصباح ارجعُ الى بيت ابي بسلام فقصدها الى ان وصل اليها فوجدها داخل حوش كبير فطرقَ البابَ ففتحَ لهُ صاحبُ الدار بابَ الحوش فلما راهُ الغلامُ سلمَ عليهِ وقال لهُ انني خرجتُ في هذا النهار الى الصيد وقد امسى عليَّ المساء وانا في هذه البرية بعيدٌ عن المدينة فهل تقبلوني عندكم هذه الليلة فترحبَ بهِ ذلك الرجلُ ثمَّ ادخلهُ معهُ وقال لهُ اعلم يا ولدي انَّ هذه

الدار لوكندة مختصة بالمسافرين والسواح وكل عابر طريق فبها اكرمناك وعملنا معك من الواجب ليس لنا في ذلك ادنى فضل ولا جميل لان المسافر عليه شي معلوم من المصاريف يدفعها عن نفسهِ كل يوم ثمن ماكولات ومشروبات واجرة فراش ففرح الغلام وطلب من الرجل ان يسمح لهُ باوضة نظيفة ليصرف ليلته فيها فاخذهُ الى مخدع جميل مفروش باحسن الفروش وفيهِ سرير بناموسية لاجل النوم فدخل الغلامُ وبعد ان جلس على المقعد قال لهُ اسرع لنا يا عمّ بشيء من الطعام لاني في غاية الجوع فخرج الرجل لياتيهِ بما طلب وكان ذلك الكلب حينما نظر الغلام تقدم اليهِ وصار ينظر في وجههِ ويشمهُ ويلاعبهُ ويظهر لهُ المؤانسة والموالفة فتعجب الغلامُ من اعمالهِ هذه واستغربها ولما دخل الى المخدع وجلس دخل معهُ الكلبُ ولم يفارقهُ وبعد قليلٍ جاء الرجلُ بما تيسر عندهُ من الطعام ووضعهُ

على المايدة فقام الغلامُ وكان قد مضى نحو ساعتين من الليل فاكل وبعد ذلك نهض لينام فتقدم واغلق الباب ثمَّ اخذ يخلع ثيابهُ فلما راهُ الكلب يخلعُ ثيابهُ وثب اليهُ وضربهُ على صدره بيديهِ كانهُ يريدُ ان يمنعهُ عن خلع ثيابهِ هذا والغلامُ قد جهلَ امرهُ ولم يفهم مرادهُ وقال في نفسهِ ما بالُ هذا الكلبِ يفعلُ هكذا وما هو قصدهُ بذلك ثمَّ انهُ رفسهُ برجلهِ وطردهُ وبعد ان خلعَ ثيابهُ دخلَ الى السرير لينام فتبعهُ الكلب وصار يعضهُ في رجلهِ فنهض جالسًا على قدميهِ وقد اخذهُ القلق وانكر امرَ الكلب وقال ان صدقني حزري لا لا يخلو هذا الكلب من غايةٍ وما قصدهُ الاان اكون على حذر فلما راهُ الكلب قد جلس على السرير عمد الى خزانةٍ كبيرةٍ كانت في ناحيةٍ من ذلك المخدع فضرب بيده على تلك الخزانة ثمَّ ارتد الى الغلام ثمَّ رجع الى الخزانة وفعل كالاول فعند ذلك لحظ الغلامُ

وتاكد عنده ان المكان الذي هو فيه ليس فيه امان وان في تلك الخزانة شخصاً كامناً له هناك حتى ينام فيقوم اليهِ ويقتله فخاف وارتعش وقام في الحال من مكانهِ وتناول بندقيته وحشاها بالبارود والرصاص وتقدم الى الخزانة ليفتحها فوجدها مقفولة فعالجها حتى خلعها فوجد داخلها رجلاً مقتولاً فلما راه تغيرت احواله وايقن بالهلكة وتحقق عنده ان كل من دخل الى هذه الدار من المسافرين لا يخرج منها حيًّا وانَّ صاحب الدار يدخل عليهِ وهو نايم فيقتلهُ وياخذ مالهُ ثمَّ انهُ بعد ذلك اخذ يدور ويفتش في جوانب الحيطان لعلهُ يجد منفذًا او ثقبًا يوصل الى المخدع فلم يجد ثم التفت نحو السقف وامعن فيهِ النظر فوجد بابًا صغيرًا على شبهِ الطاقة وهو في غاية الضبط والاتقان محكم فوق السرير على هيئة السقف بالتمام حتى لا يكاد يفرقهُ احد عن السقف الا بالجهد والتدقيق فلما راه قال من

هاهنا تاتي الداهيةُ لامحالة فتقدم الى الخزانة وحملَ ذلك المقتولَ والقاهُ على السرير وغطاهُ باللحاف وجلس هو في ناحيةٍ من الخزانة مستترًا وفي يديهِ البارودة وجعل نظرهُ على ذلك الباب المذكور واما الكلب فانهُ لما راواهُ قد عرف باطن القضية وانهُ اخذ حذرهُ لبث في مكانهِ لا يتحرك هذا والغلام تارةً ينظر الى ذلك الباب وتارةً ينظر الى الكلب ويتامل فيهِ ويتعجب من انذاره لهُ وما زال على تلك الحالة حتى تنصف الليل واذا بذلك الباب قد فتحَ وظهرَ منهُ شخصٌ وفي يديهِ حربةٌ طويلةٌ على شكل المزراق فصوبها نحو السرير وطعن بها صدر ذلك الرجل المقتول وهو يظنُّ انهُ الغلام فلما راى الغلامُ ذلك الفعل بادرَ في الحال واطلقَ عليهِ الرصاص فرماهُ قتيلاً واذا هوَ صاحبُ اللوكندة ثم اسرع وحشا بارودتهُ رصاصًا وجلسَ مكانهُ خوفًا من هجوم عدو اخر وما زالَ كذلك الى الصباح ولما

طلعت الشمس سمع ضجة مرتفعة وقعقعة حوافر خيل على الطريق فوجد عربانة سائرة من تلك الناحية وفيها جملة من الناس وكانت المسافة قريبة منهم فصاح عليهم بصوت عال وقال ادركوني ياقوم وخلصوني من هذا المكان لاني في غاية الخطر فلما سمعوا صوته اوقفوا الخيل وجاء اليه جماعة منهم ففتح باب المخدع حتى صار بينهم كل هذا والكلب تابعه ولم يفارقه ثم سالوه عن حاله فاخبرهم بقصته فدخلوا معه الى تلك الدار فوجدوا القتيل الذي اخبرهم عنه ثم اخذوا يدورون ويفتشون في مخادع الدار وجوانبها فوجدوا امراة وهي جالسة في غرفة صغيرة وكانت زوجة صاحب الدار فسالوها عن سبب تلك الحال وتهددوها بالقتل ان لم تصدقهم بالخبر فلما رات المراة انه قد افشي الامر خافت ولم يعد يمكنها ان تكتم عنهم فحدثتهم بانها زوجة صاحب البيت الذي قتله الغلام وان لها عنده جملة

سنين وقد بنى هذه الدار وزينها واطلق عليها اسم لوكندة
حتى كان كل من دخل اليها من المسافرين يقتله في
الليل وياخذ مالهُ ثم يلقيهِ في بير حفرها لاجل هذه
الغاية في البستان وانه نهار امس العصر كان قد حضر
الينا رجل مسافرٌ فقتاه ووضعه في البير ثم انها بعد
ذلك ادخلتهم وارتهم جميع مخادع الدار واذا في كل
سقف منها باب صغيرٌ شبه الطاقة الصغيرة وهو محكم
فوق السرير الذي في المخدع فاستغربوا هذا الامر
واستعظموا هذه الجسارة وانصرفوا من هناك الى حال
سبيلهم ورجع الغلام الى بيت ابيهِ ومعه الكلب
فلَّما رآهُ ابوهُ فرح برجوعهِ سالمًا وقال لهُ اين كنت
البارحةَ وَقَدْ تشوَّش بالنا عليك من جهة غيبتك
فأَخبرَهُ بواقعة الحال وكيف كان خلاصهُ بواسطة
ذلك الكلب فنظر ابوهُ الى الكلب وتامَّل فيهِ فاذا هو
كلبهم فقال لولدهِ هذا كلبنا جاك وقد تربَّي عندنا ثم

فقد من نحو سنتين ولم نقف لهُ على خبر الى الآن واما
سبب اتصالهِ الى ذلك الرجل فهذا لا علم لي بهِ كيف كان
ولكن الذي يغلب على ظنيّ انهُ التقى بهِ يوماً في مكانٍ
خالٍ من الناس فاحتال عليهِ وسرقهُ وبقي عندهُ
كل هذه المدّة ولما راك عرفك انك صاحبهُ الاصليّ
فنبهك ذلك التنبه ثم انهُ بعد ذلك اعرض للحكم واقعة
الحال وكيف انهُ يوجد في البلاد مهالك مثل هذه
فامرَت الحكومة بتوجيه قائدٍ مصحوباً بفرقةٍ من العساكر
الى تلك الدار لاجل المكاشفة على ذلك ولما وصل
القائد الى ذلك المكان وتحقّق القضيّة ضبط تلك
الدار بما فيها ثم ان الحكومة ارسلت في الحال مباشرين
يطوفون في جميع اقطار البلاد ويفحصون عن دسائس
مثل هذه وكانت سلامة الغلام وغيرهِ من ابناء
السبيل بواسطة هذا الكلب النبيه انتهى

الاله الحقيقي

شابٌ مسيحيٌ كان قد صرف مدة طويلة في بيت رجل وثنيٍّ وكان كثيرًا ما ينهاهُ عن عبادة الاصنام ويقول لهُ انهُ لا يوجد الاَّ اله واحد خالق السماء والارض المعطي الشمس نورًا والمنجر من السحاب مطرًا الذي يرى جميع اعمالنا ويعرف افكارنا ويسمع صلواتنا الاله الحيّ الازليُّ السرمديُّ الذي لهُ وحده القدرة والسلطان ان يخلّصنا وان يجازينا واما هذه الاصنام التي تعبدها انت وتتوسل اليها فقد جُبِلت وصُنِعت من الفخّار وليس لها قدرة ان تسمع او تبصر وبالنتيجة هي غير قادرةٍ ان تفعل شيئًا خيرًا كان او شرًّا للذين يعبدونها ويلتجئُون اليها واما الوثنيُّ فكان يضجر من هذا الكلام ويسدُّ اذنيهِ عن الحقيقة · فاتّفق ذات يوم ان الوثنيّ خرج الى البرية في بعض اشغالٍ لهُ ولما طالت غيبتهُ اغتنم الشابُّ الفرصة واخذ عصاتهُ

وسحق جميع الاصنام التي هناك ولم يبقِ منها سوى الصنم الاكبر فعلّق بيدهِ العصا التي كان قد استخدمها لكسر الاصنام المذكورة .. فلما رجع الوثنيُّ من غيبتهِ ورأى ما كان من تكسير الاصنام استشاط غضباً وقال من هذا الذي تجاسر على هذا الامر العظيم وكسَّر اصنامي ولم يقدّر العواقب فاجابهُ الشابُّ قائلاً ألاَ تظنُّ يا صاحب بان صنمك الاكبر هو الذي فعل باخوتهِ الاصاغر ما تراهُ فقال الوثنيُّ وقد استعظم سؤالهُ كيف يمكنني ان اصدّق هذا الامر العجيب وانا قط في حياتي لم ارهُ حرَّك ساكناً واني لا اشك بانك انت ايها الشابُّ الشرّير الذي فعلتَ ذلك وليس آخر سواك ولا بُدَّ لي ان انتقم منك على سوء عملك فقال الشابُّ تمهَّل ولا تدخل في الحماقة فان كنت لا تصدّق بان صنمك الكبير قد فعل ما فعلتهُ انا الضعيف الحقير فكيف تصدّق اذًا انهُ هو الاله الذي خلق

السماء والارض قال فأتّعظ الوثنيّ بهذا الكلام واطرق رأسهُ الى الارض صامتا وغايصًا في لجج الافكار ثم انهُ نهض في الحال وتقدَّم الى الصنم الكبير وسحقهُ وخرَّ على ركبتيهِ وسجد لله تعالى وتاب من يومهِ وصار مسيحيًّا

الذئب

ولد صغير اسمهُ يوحنا كان يستعمل الكذب كثيرًا جدًّا فبينما كان ذات يوم يرعى قطيعًا من الغنم في البرّية خطر لهُ ان يتسلى بالكذب والحال فاخذ يصرخ ويصيح باعلى صوتهِ ادركوني ياقوم وخلّصوني فقد اضحت غنمي فريسةً للذئب قال وكان بقربهِ جماعة من الفلاَّحين فلما سمعوا صوتهُ تبادروا اليهِ من كل ناحيةٍ وفي ايديهم العصيُّ والمعاول واخذوا يفتّشون على الذئب واذ لم يروهُ ارتدُّوا راجعين الى منازلهم هذا ويوحنا يضحك ويستهزئ بهم فلما كان صبيحة اليوم الثاني عاد يوحنا الى ما كان عليهِ بالامس صارخًا

الذئب الذئب فاقبل عليهِ الفلاَّحون وفتَّشوا عبثًا ولما ظهر لهم كذبهُ ومحالهُ انصرفوا وهم يهزُّون رؤُوسهم ويقولون ما اكذب هذا الغلام واقبحهُ . قال ولما كان الغد خرج يوحنا بالغنم الى البرية حسب عادتهِ وبينما هو يرعى هناك اذ فاجاه الذئب حقيقةً وهجم على القطيع فبددهُ وفرَّقهُ فاخذ يوحنا يصيح ويستغيث باصواتٍ حزينة يا للمعونة يا للمعونة الذئب الذئب فلم يجبهُ احد من الناس لانهم لم يصدّقوهُ وذلك لما يعلمون ويعهدون من كذبهِ وسوءِ عملهِ وكان الذئب بعد فراغهِ من القطيع اسرع عليهِ وقطَّعهُ اربًا اربًا وافترسهُ في الحال

الاصدقاء بعد الموت

ربُّ عيلةٍ تلا يومًا على اولادهِ القصَّة الآتية فقال ان احد ولاة الجزاير دُعي يومًا للتمثل بين يدي مولاهُ الملك ليعطي حسابًا عن تصرُّفهِ وعند نزوله الى السفينة لم يكترث بهِ احد من اصدقائهِ ومعارفهِ ولم يلتفتوا اليهِ

حتى انهم لم يتنازلوا ان يخطوا معهُ خطوةً واحدةً للوداع الى شاطئ البحر قايلين في قلوبهم ان صاحبنا قد عزل عن وظيفتهِ وهو الان سائر ليعطي حساباً عن تصرفاتهِ فما منفعتنا منهُ الان نعم اننا قد نجحنا وارتقينا وانتفعنا بمساعيهِ وتوجهات انظارهِ عندما كان والياً واما الان فما عاد لنا منهُ ادنى فائدة غير المتاعب والمسئولية. واما اناسٌ آخرون ممن لم يكن يعوَّل عليهم ولم ينتظر منهم ادنى محبة والتفات فعاملوهُ المعاملة الحسنة وساروا في رفقتهِ الى ان اوصلوهُ الى اعتاب السدَّة الملوكية ووقفوا معهُ امام الملك واخذوا على انفسهم مسئولية المحاماة والمدافعة عنهُ وحازوا لهُ نعمةً لدى مولاهُ. هذا هو الحال مع الانسان يا اعزائي قال الاب وهو ان الانسان في هذا العالم لهُ ثلاثة انواع من الاصدقاء الذين لا يشعر بهم ولا يعرفهم حق المعرفة الا في اعظم الساعات واشد الاوقات حينما يدُعَى ليفارق هذا العالم الغرور ويرى نفسهُ مجبوراً

ان يظهر امام عرش ديّان العالمين ليعطي حسابًا عن حياتهِ التي صرفها على وجه الارض. فالنوع الاول من هذه الاصدقاء هي املاكهُ وعقاراتهُ ووظائفهُ وامجادهُ العالميَّة التي ستفارقهُ جميعها عند موتهِ لتدخل في حوزة آخرين والنوع الثاني هي اقاربهُ ومعارفهُ ومن يلوذ بهِ من الاصحاب والاحباب الذين يرافقونهُ الى حافة الهاوية واما النوع الثالث فهي اعمالهُ الحسنة التي هي زهرة وثمرة ايمانهِ فهذه تتبعهُ في سفرهِ الابديّ غير المتناهي وتتقدم معهُ الى امام عرش العلي. فبالحقيقة ان الانسان اعمى وجاهلٌ اذا انهُ يهمل ويتغاضى عن مثل هذه الاصدقاء والاصحاب والامناء الذين فيهم الاهليَّة ولهم القدرة دون غيرهم ان يهيئوا ويمهدوا لهُ الطريق المؤدّي الى الملكوت السموي

الذبان والعنكبوت

ان احد الامراء كان كثيرًا ما يقول ماذا كانت

يا ترى افكار الله بخلقهِ الذبان والعنكبوت لان هذه
الحشرات ليس منها ادنى فائدة للانسان بل بعكس
ذلك اذًى ومضرة للبشر ولو كان لي قدرةٌ لكنت
اعدمها والاشيها عن وجه الارض . فاتفق ان هذا الامير
حضر معركةً ذات يوم وقاتل العدو قتالاً حسنًا الى ان
انهزم جيشهُ وتفرَّق فاضطرَّهُ الامر الى الانهزام فارتدَّ
راجعًا من ساحة الحرب الى ان وصل الى غابةٍ وكان
في غاية التعب والملل فنزل عن ظهر جوادهِ ورقد تحت
شجرةٍ ونام نومًا ثقيلاً وبينما هو في سباتِ النوم اذ ادركهُ
رجل من العدوّ يريد قتلهُ فاتفق ان في تلك اللحظة
جاءت ذبَّانة ووقفت على خدّ الامير ولسعتهُ لسعًا اليمًا
فاستيقظ في الحال واخترط سيفهُ وطلب الجنديَّ الذي
كان قاصدهُ فولَّى من بين يدَيهِ ثم ان الامير التجأَ الى
كهف في تلك النواحي واستتر بهِ فلما جنَّ الظلام
جاءت عنكبوتة وفرشت بنسيجها باب الكهف وعند

الصباح مرَّ جماعة من اعداء الامير بباب الكهف مفتّشين عليهِ فوقفوا هناك وقال احدهم للاخر ادخل وانظر لنا الامير لعلهُ يكون مختبئاً هنا وكان الامير من داخل يسمع الكلام فخاف وأيس من السلامة . فاجاب الرجل وقال لرفيقهِ انهُ من المستحيل ان يكون دخل الى هذا المكان لانهُ لو كان دخل كما تظنُّ لكان بدخولهِ نزع نسيج العنكبوت الذي تراهُ على باب الكهف فلما انصرف القوم خرج الامير بدهشةٍ وورع وخشوع رافعاً يديهِ نحو السماء قائلاً يا الهي وخالقي كم من الشكر والحمد يجب عليَّ ان اقدّم لجلالك لانك بالامس قد انقذت حياتي بواسطة ذبّانة واليوم حفظتني بواسطة عنكبوتة نعم يارب ما اعظم اعمالك كلها بحكمةٍ صنعت

المائت المتبسّم

شيخٌ تقيٌّ اذ احس بقرب نهاية ايامهِ جمع حولَ فراشهِ اولادهُ واولاد اولادهِ للوداع وكان اذ ذاك

يلوح عليهِ كانهُ نايمٌ فاخذ يتبسَّم ثلاث مرات متوالية فلما فتح عينيهِ سأَلهُ احد اولادهِ عن سبب تبسُّمهِ الثلاث مرَّات المتوالية فاجاب الشيخ قائلاً . المرَّة الاولي كنت أُراجعُ نفسي متذكّرًا اللذَّات والافراح التي ذقتها في مسافة حياتي فلم اكن قادرًا ان امسك نفسي عن التبسم من جهالة الذين يعلقون اما لهم في لذَّات هذه الحيوة الفانية . اما المرَّة الثانية فانَّني بينما كنتُ اتذكر كل المصائب والاحزان التي دهمتني مرَّة بعد مرَّة في اثناء سفر هذه الحيوة كنتُ من الجهة الاخرى فَرِحًا متبسمًا لعلمي ان الوقت قد اقترب وان كلّ هذه المصاعب والمشقَّات قد زالت واني الآن عوضًا عن حسكها وشوكها اجني اثمارها الورديَّة . واما المرَّة الثالثة اذ كنت متأملاً بالموت لم يمكنّي الآن اتبسَّم وذلك عندما طرقني الخوف الذي يخامر قلب بني البشر عندما يرسل الله ملاكهُ ليضع حدًّا لاحزانهم وآلامهم لياتي بهم الى

المواطن البهية حيث يسكن ابناء النور والسلام

اصدق الشهود

دخل غلاماً ذات يومٍ الى مخزن احد التجار في نيويورك من بلاد اميريكا وسأل التاجر هل يريد كاتباً فاجابهُ ان عندهُ من الكتبة ما يكفي فقال بعض الحاضرين الذين كان لهم معرفة بذلك الشابّ للتاجر ان هذا الشابَّ لهُ شهودٌ كثيرة تشهد لهُ بالامانة والصداقة فقال التاجر للشابّ اذا كان الامر كذلك أرِني مَنْ هم شهودك وبينما كان الفتى يفتح كيساً ليريهُ الشهادات التي معهُ اذ سقط من الكيس كتابٌ فقال لهُ التاجر ماهذا الكتاب الذي سقط منك فقال هذا الكتاب المقدَّس فاجابهُ قائلاً وماذا تصنع بهِ في سوق التجارة فقال قد أعطتني اياه امي تذكاراً وطلبت مني ان اقرأهُ دائماً وهو لا يفارقني ابداً فقال التاجر يكفيني الآن من الشهود ما رأيتُ ولا حاجة ان تتعب نفسك باخراج

شهاداتك فان هذا الكتاب هو اصدق شاهد ثم استخدمهُ عندهُ فنجح الغلام في اعمالهِ وصار للتاجر رفيقًا ومعينًا لهُ في تجارتهِ

الكلب الحنون

قيل ان رجلاً كان عندهُ كلب فكان يرسلهُ كلَّ يوم الى الفرن لياتيهُ بكمية معلومة من الخبز في سلَّةٍ. فحدث يومًا ان الكلب اتى الى البيت بالخبز وكان ناقصًا رغيفًا واحدًا وثاني يوم ايضًا فتعجب الرجل من هذا الامر وارسل معهُ غلامًا الى الفرن خفيةً لكي ينظر ماذا يفعل بالرغيف الذي كان ينقص. فتبعهُ الغلام الى الفرن وعند وصولهما عدلهُ الفران الخبز ووضعهُ في السَّلَّة فسار الكلب بالخبز والغلام يتبعهُ من خلف بحيث لا يراهُ الكلب الى ان وصل الكلب الى مكان كان فيهِ كلبة مجرية فوقف ووضع السلة على الارض وتناول منها رغيفًا ووضعهُ امام الكلبة واجْرِيتها ثم حمل السلة

الى ان اشرف على البيت والغلام يتبعهُ فسأل الاستاذ الغلام ماذا عمل الكلب بالرغيف الناقص فحدَّثهُ بالقصة فتعجَّب من عمل الكلب وتركهُ على مثل ذلك مدة ايام حتى صار الأَجْرِية يمكنها المشي والسعي في طلب معاشهنَّ . ومن ثمَّ صار الكلب يأْتي بالخبز تماماً فانذهل صاحب الكلب من اعمالهِ وكيف ان الحيوانات تشفق ايضاً على بعضها البعض وهذه القصة تعلمنا انهُ كما ان الحيوانات تشفق على بعضها البعض هكذا فكم بالحري الانسان الذي هو اعلى رتبةً من الحيوانات يجب عليهِ ان يشفق على الاخرين عندما يشاهدهم في حالة الضيق والاحتياج الكلي

الكلب الحاذق

ومما يحكى من هذا القبيل ان رجلاً كان عندهُ كلب قد علَّمهُ ان يذهب كل يوم الى السوق ويأتي باللحم من عند القصَّاب وكان يضع لهُ الدراهم في السلَّة مع

تذكرةٍ منهُ الى القصّاب يذكر لهُ فيها مقدار اللحم المطلوب فكان الكلب ياخذ السلّة كل يوم ويقصد ذلك الرجل وياتي باللحم الى البيت فاتفق ذات يومٍ انهُ سار حسب العادة فرأى في الطريق كلاباً مقبلة نحوهُ وهي تتهارش وتتواثب على بعضها البعض فعلم انهُ متى قاربها لا بدَّ لهُ من الدخول بينها كما هي عادة الكلاب اذا التقت ببعضها فخاف على الريال ان يسقط من فمهِ ويضيع وهو مشتغلٌ معها فاسرع وحفر في الارض حفرةً صغيرة ووضع فيها الريال ثم ردَّ عليها التراب وقصد الكلاب ودخل بينها وكان بقرب ذلك المكان الذي دفن فيهِ الريال جملة من الدكاكين فاتّفق أنَّ رجلاً من اصحاب تلك الدكاكين كان قد شاهد ما فعلهُ الكلب بالريال فبادر في الحال وجاء الى تلك الحفرة ونبشها واخذ ذلك الريال المدفون وجاء بهِ الى دكانهِ وبعد قليلٍ رجع الكلب لياخذ الريال من تلك الحفرة فلم

يجدهُ فثبت عندهُ ان احد اصحاب تلك الدكاكين
نظرهُ حينما وضعهُ في الحفرة فاخذهُ ولكن لم يعرف من
هو ذلك الرجل فاحتار في امرهِ وخاف ان رجع من
دون اللحم يُضرَب ويُعَاقب فذهب من هناك وغاب
نحو ربع ساعة ثم رجع الى ذلك المكان الذي ألْقى فيهِ
الريال وفي فمهِ حصاةٌ صغيرة وجعل قفاهُ الى ناحية
تلك الدكاكين وطرح تلك الحصاة في الحفرة ثم ردَّ
عليها التراب كما فعل اول مرةٍ واعتزل الى مكان بعيد
فلبث فيهِ وعينهُ تراقب تلك الحفرة وكان الرجل قد
رآهُ ايضاً فظنَّ انهُ وضع ريالاً آخر فلما ابتعد عن المكان
بادر الرجل الى تلك الحفرة ونبشها طمعاً في الريال
فلم يجد هناك الاَّ حصاةً لاغير ففاجاهُ الكلب اسرع من
البرق وقد عرف انهُ غريمهُ وتعلَّق بهِ حتى شقَّ ثيابهُ ومزق
جلدهُ بانيابهِ وهو يصول عليهِ كالذئب الضاري
والرجل لا يقدر ان يردهُ عنهُ فخاف من العطب وجعل

يستغيث بالناس فاجتمعوا عليهِ وقد هالهم ذلك الامر واجتهدوا في تخليصهِ منهُ فلم يقدروا فقالوا لهُ أَصْدِقْنا يارجل فانَّ نزاع هذا الكلب معك لايخلو من سببٍ عظيم فحدثهم بواقعة الحال فقالوا لهُ أَعْطِهِ ريالهُ والاَّ فهو قاتلك لامحالة فرمى لهُ الريال فالتقطهُ الكلب في فمهِ وتركهُ وقصد القصاب فاعطاهُ اللحم واخذ منهُ الريال ورجع باللحم الى بيت صاحبهِ وشاع هذا الخبر بين الناس فكانوا يتحدَّثون فيهِ ويتعجَّبون منهُ

الام التقيَّة واولادها

سيدةٌ من عائلةٍ معتبرة التزمت ان تعيش في الفقر والاحتياج لاسبابٍ محزنة فقالت لولديها عند دخول العيد الكبير اوَّاه كم انا حزينة في هذا اليوم العظيم لاني لااقدر على الذهاب الى الكنيسة لكي اشترك بالصلوة مع الوف من المومنين الذين يجتمعون لكي يعيدوا لله هناك لانني بعيدة عن المدينة وسني وامراضي تمنعني عن

الذهاب ماشيةً ولا نقدر ان نستعمل مركبة لان الفقر
الزمنا ان نبيع الخيل فلما سمع الولدان كلام أمهما ذرفت
عيناهما بالدموع ونهضا في الحال وقطعا غصنين غليظين
من شجرة كبيرة وربطا كرسيّ أمهما حتى صارت شبه
المقعد وحملاها الى الكنيسة. وبينما هما يسيران بها كانت
الناس تتعجب وتبكي من تلك المشاهدة وكان كثيرون
يفرشون زهورًا على الطريق من عند ابواب المدينة الى
الكنيسة وكانت الأمُّ المذكورة تسمع هذه الاصوات
وهي الشرف ثم الشرف ليكن للأمّ التي هي اسعد الأمهات
وللولدين المتعقلين هكذا في وسط ابتهاج الشعب
ثم وصل الولدان الى الكنيسة وأمهما تصيح من اعماق
قلبها وتقول يا اله صلاح اسبغ نعمتك على ولديَّ
هذين وامنحهما المجازاة التي تراها مناسبة لهما وعند المساء
رجع الولدان بامهما الى البيت وناما بطمانينة وفرح لانهما
تمما واجباتهما كولدين صالحين وعند الصباح نهضت

أمها لتيقظهما من النوم فوجدتهما نايمين على سريريهما كملاكين ولكنهما لم يستيقظا ابدًا فتاكد عندها موتهما فصرخت قائلةً يا اله الرحمة لقد سمعت الى صلاتي لانني اعلم ان الشي الوحيد الذي تشتاق اليهِ الناس الاطهار انما هو الموت بالرب واني لا اشك الآن بان ولديَّ هما عندك وقد فازا بنعيم مجدك وقد اخترتهما لتجازيهما عن محبتهما لوالدتهما في دار الابرار

الناسك

ان بعض الامراء كان معجبًا بنفسهِ وباموالهِ فخرج ذات يوم للصيد الى بعض الجهات المنفردة بين الجبال فرأى هناك كوخًا صغيرًا ورجلاً ناسكًا جالسًا عند الباب وبيدهِ جمجمة يتأمَّل فيها فتقدم الامير منهُ وقال لهُ ياهذا ما بالك تقلِب هذه الجمجمة وتتأمَّل فيها فقُلْ لي ما هي الفائدة من ذلك فاجابهُ قائلاً وهو ينظر اليهِ شذرًا انني اتأمَّل فيها لارى واحقّق هل هي جمجمة امير

غني . او صعلوك فقير ولكنني لم اقدر ان اقف على حقيقة ولا نتيجة

الزائر

كان احد الاغنياء من ذوي الرتب يسكن في قصر كبير غير انهُ كان لتقادم عهدهِ آخذًا بالدثار والخراب فكان يصرف عليهِ اموالاً جسيمة لترميمهِ وتحسينهِ ولكنهُ كان قليل الالتفات نحو المساكين والمحتاجين فاتفق ذات يوم ان رجلاً زائرًا مسكينًا جاءَ الى ذلك الغني وطلب منهُ ان يقبلهُ عندهُ ضيف ليلةٍ واحدة فابى الغني وقال لهُ ليس عندي منزلٌ للغرباء فقال الزائر اسمح لي اذًا ياسيدي ان اسالك ثلاثة سوالات ومن ثم ارجع من حيث اتيت . فقال لهُ سل ما تريد فقال لهُ اريد منك ان تعلمني من كان يسكن هذا القصر قبلك قال والدي فقال وقبل والدك قال جدي . قال ومن بعدك هل تقدر ان تقول لي من يسكنهُ . قال

ولدي ان شاء الله فقال اذا كان كلٌّ من ساكني
هذا القصر لا يقيم بهِ الّا الى زمان فقط ويأتي الواحد بعد
الاخر ويأخذ مكانهُ فينتج اذًا من ذلك بان سكانهُ
ليسوا الّا نزلاء وضيوفًا وما هو الّا منزلٌ للمسافرين
والغرباء وما دام الامر كذلك فلماذا تصرف هذه
المصاريف الباهظة لتزيّن مكانًا ليس لك فيهِ الّا زمانًا
يسيرًا فعوضًا ان تصرف اوقاتك بترميمهِ وتزيينهِ كن
معينًا للفقراء والمحتاجين محسنًا لاهل الفاقة مضيفًا
للغرباء وهكذا تبني لك قصرًا في المواطن الابديَّة في
السماء حيث لا يفسد سوس ولا ينقب سارقون. فلما
سمع صاحب القصر من الزائر هذا الكلام اتعظ وتأثَّر
جدًّا ثم انهُ اضاف الزاير ورحب بهِ غاية الترحيب
ومن ذلك الوقت صار متواضعًا جدًّا ومحبًّا لعمل الخير
. ان اموال الدنيا تذهب معنا وان اعمالنا الحسنة
تدوم ولا تفنى

المرأة التي تبيع الحليب

كان لامراة ارملة بقرة فكانت تحلبها في كل يوم وتخلط الحليب بالماء وتبيعهُ للناس مغشوشاً فكان ابنها الصغير كثيرًا ما يوبخها على هذا العمل واما هي فلم تكن تسمع منهُ نظرًا لصغر سنهِ بل كانت تنهض عند الصباح وتحلب البقرة وتمزج الحليب بالماء وتبيعهُ ولما مضى عليها مدة من السنين اراد الله ان ينتقم منها لسوءِ تصرفها فمرضت مرضاً شديدًا حتى اشرفت منهُ على الموت ولما علمت انها عن قريب ستفارق هذه الدنيا ارسلت تدعو ابنها لتودعهُ قبل موتها لانهُ كان قد صار شابًّا في ذلك الوقت وكان قد استخدم في الخدمة البحرية الى ان ارتقى الى وظيفة قبطان فلما حضر الى عندها كانت على آخر رمق وماتت في ذلك النهار وبعد دفنها اخذ ابنها جميع الامتعة التي كانت في البيت وباعها وجمع الدراهم ووضعها في كيس لوحدها واخذ ما كان موجودًا

في صندوق امهِ من الدراهم وجمعها ايضاً في كيس ورجع الى المركب وجلس على الطاولة واخذ يعد الدراهم التي وجدها في صندوق امهِ وبينما هو كذلك اذ سمع ضجة عظيمة على ظهر المركب فخرج مسرعًا ليكشف الخبر واذا بسعدان كان قد تربى في المركب دخل حالاً الى تلك الغرفة وجلس على الكرسي امام الشباك الذي يشرف على البحر واخذ يتناول قبضة قبضة من تلك الدراهم ويلقيها في البحر الى ان القى نصفها ثم توقَّف عن ذلك العمل وعند رجوع القبطان تعجَّب من عمل السعدان لكنهُ لم يغضب وقد تأكد عندهُ ان الذي رماهُ السعدان هو المال الحرام الذي كانت امهُ تاخذهُ من الناس عندما كانت تمزج الحليب بالماء وما بقي منهُ هو ثمن الحليب غير المغشوش فشكر الله على ذلك فمن هذه القصة نتعلم صدق المثل الذي يقول مال الحرام لا يدوم وان بقي لا بد لهُ من الزوال . انتهى

قصة ولي عهد مملكة انكلترا

بينما كان ابن ملكة انكلترا يدرس ذات يوم مثالتهُ بحضور معلمتهِ اذ ضجر من الدرس والمطالعة فالقى الكتاب من يدهِ على المقعد واخذ يتفرج من الشباك فقالت لهُ المعلمة ادرس مثالتك فقال لها اني لا اريد ان ادرس الآن فقالت لهُ صار يجب عليك ان تقف وتدرس في القرنة فاجابها بكل وَقاحة انني لا ادرس ولا اقف وليكن عندك معلوماً باني انا البرنس دي غال وبعد ان انتهى من هذا الكلام ضرب برجلهِ زجاج الشباك فكسرهُ فلما رات منهُ تلك الحال تناولت الجرس من الطاولة ودقتهُ فدخل الخادم وتمثل بين يديها فقالت لهُ ادعُ لي جلالة الملك ولم يكن الا قليل حتى دخل الملك فحدثتهُ بما كان من امر ابنهِ فخرج ثم دخل وفي يدهِ الكتاب المقدس وتقدم الى ابنهِ وقال لهُ اسمع ما يقول مار بولس الرسول للاحداث

الذين هم نظيرك وقرا له من غلاطية ص ٤ :١ واقول
لكم ان الوارث مادام صغيرًا فلا فرق بينهُ وبين العبد
اذ هو سيد الجميع ولكنهُ تحت يدي التَهارِمَة والوُكلاء
الى الوقت الذي وَقتَهُ ابوهُ · ثم التفت الملك الى ابنهِ
وقال لهُ انك متى كبرت ستصير ملكًا عوض امك واما
الان فيجب عليك ان تخضع للذين هم اكبر منك · واريد
ان اقول لك ما قالهُ سليمان الحكيم من يحب ابنهُ يؤدّبهُ
ثم اتى بقضيب وضربهُ واوقفهُ بالقرنة وقال لهُ لا تتحرك
من هنا حتى تاذن لك المعلمّة

اللصوص الثلاثة

حكي عن ثلاثة لصوصٍ التقوا ذات يوم برجل
عابر طريقٍ في بعض الاحراش وكان المذكور يبيّع
الاقمشة النفيسة فقتلوهُ واخذوا ما لهُ وما كان معهُ من
الثياب والامتعة الثمينة ثم قصدوا مغارة كبيرة كانت
قريبة منهم ليقسموا المال بينهم ولما صاروا هناك ارسلوا

الصغير فيهم الى المدينة ليبتاع لهم طعاماً ولما غاب عنهم قال الاثنان لبعضهما ماذا يلزمنا ان نقسم من هذا المال على رفيقنا الذي ارسلناه في طلب الطعام فمتى حضر قتلناه ويبقى هذا المال لنا وحدنا وكان رفيقهما قد صوَّر لهُ فكرهُ على الطريق ان يعمل على قتل صاحبيهِ طمعاً بالمال فلما اشترى الطعام والخمر وضع قليلاً من السم في الخمر وعند رجوعهِ وثبا عليهِ وقتلاهُ ثم انهما جلسا ليأكلا ولما شربا الخمر ماتا من ساعتهما باوجاعٍ عنيفة ولم يستفيدا شيئاً من ذلك المال الذي كان سبباً لهلاكهما وهلاك رفيقهما وقد صح فيهما المثل السائر وهو الطمع ضر وما نفع

قصة هنري

حكي عن امراة فقيرة الحال انهُ كان لها ولد اسمهُ هنري وكان عاقلاً نجيباً فاتفق ان امهُ اصيبت بمرضٍ شديد وهو اذ ذاك ابن ثمان سنين فحزن عليها حزناً

عظيمًا وكانا في حالةٍ يرثى لها من الفقر والمسكنة حتى لم يكن عندهما شيءٌ من المعاملة لاجل شراء الدواء فصار هنري يفتكر باي وسيلة يمكنهُ ان يساعد امهُ وبينما كان راقدًا في الليل على فراشهِ افتكر بانهُ كان يسمع من الناس عن حسن شعرهِ فشكر الله على هذا الفكر الذي طرقهُ ولما كان الصباح نهض من فراشهِ وقصد دكان المزين ولما وصل الى هناك طلب من المزيّن ان يقص لهُ شعرهُ لكي يبيعهُ فاشتراهُ منهُ المزين بريالين لانهُ كان ذهبي اللون فقصهُ ودفع لهُ الثمن فاخذ هنري الدراهم وسار الى عند امهِ فرحانًا مسرورًا وقال لها خذي يا امي هذه الدراهم واشتري بها ما تريدين فلما وقفت امهُ على حقيقة الحال وما فعل ابنها بكت بكاءً مرًّا ثم انها باركتهُ على محبتهِ لها وارسلت في الحال واشترت الدواء مع بعض لوازم ضرورية غير انها لم تنتفع شيئًا ومكثت بعد ذلك ايامًا يسيرة بالفراش ثم ماتت وكانت قبل

موتها احدثت بعض الخواجات عن فعل ابنها العزيز وسلمتهُ لعناية الباري تعالى فاخذ ذلك الخواجه ابنها هنري الى عندهِ واعتنى بتعليمهِ وتهذيبهِ حتى صار من احسن ابناء زمانهِ وكان قد درس علم الطب واتقنهُ وبرع فيهِ فكانت الناس تعتبرهُ وتميل اليهِ

الدرَّة والسارق

ان رجلاً غنيًّا كان قد احسن الى امراة فقيرة فاهداهُ ابنها درَّة كانت قد تعلَّمت ان تقول . انا قادم فاقبضهُ هات السيف ياغلام . فقبل التاجر منهُ هذه الهدية ووضعها في قفص وعلَّقهُ في دارهِ فاتفق في بعض الليالي ان احد اللصوص طرق دار التاجر ليسرقهُ وكان في الدار كلب كبير فلما رآهُ اللص القى لهُ قطعة لحم كانت في جيبه ليشغلهُ خوفاً من ان ينبح فينكشف امرهُ فاشتغل بها الكلب وكان اللص قد خلع نعليهِ وصعد على السلم قاصدًا غرفة هناك حتى صار في اعلاهُ

وكان في قطعة اللحم التي القاها الى الكلب عظام فجعل الكلب يكسّر تلك العظام بانيابهِ فانتبهت الدرة على ذلك الصوت واخذت تصرخ بتلك الكلمات المذكورة التي تعلمتها ولم يكن اللص عالمًا بها فظن ان صاحب الدار قد استيقظ وهو يدعو غلامهُ ليقبضهُ ويأتيهُ بالسلاح فخاف وطلب الهزيمة غير انهُ لم يتمالك نفسهُ في النزول فسقط من اعلى السلَّم الى الارض فوثب اليهِ الكلب واخذ يعضهُ بانيابهِ وهو يجتهد في الفرار فلم يفلت منهُ الاَّ حافيًا جريحًا . معناهُ ان المنافق يهرب بدون ان يطردهُ احد

الولد اليتيم

ولد اسمهُ يوسف كان قد فقد امهُ وهو في سن الثمانية فكان حزينًا جدًّا بهذا المقدار حتى انهُ لم يكن يتصبر عن فقدها ابدًا وكان دابهُ البكاء والانتحاب الى ان ضعف جسمهُ وتغيَّر لونهُ وكان لهُ عمَّة حنونة فلما

رأتهُ على تلك الحالة شفقت عليهِ والتزمت ان تنقلهُ
الى بيتها خوفًا من ان يزداد الم ابيهِ فكانت في بعض
الاحيان تاتي بهِ الى عند ابيهِ وكان الغلام عندما ياتي
ليرى اباهُ يخلع ما عليهِ من ثياب الحداد ويلبس ثيابًا
بهية ويظهر على نفسهِ السرور والفرح وكان ابوهُ يشعر
بلطف ونباهة ولدهِ ولكنهُ كان يتذكر بمرارةٍ مصيبتهُ
العظيمة بفقد ام هذا الولد حتى ان الياس كان يقودهُ
مسرعًا نحو القبر ففي احد الايام مرض الرجل مرضًا
شديدًا ولم يجسر ان يطلب ولدهُ خوفًا من ان يزيد حزنهُ
عندما يراهُ بتلك الحالة فكانت تجاربة هذه الابوية مع ما
عنده من شدة الحزن تسقمهُ يومًا بعد يوم حتى انهُ اشرف
على الموت ولم يبقَ لهُ ادنى رجا للحيوة فمات في آخر يوم من
السنة ففي الغد الذي هو راس السنة الجديدة قام يوسف
باكرًا جدًّا وطلب من عمتهِ ان تاخذهُ الى ابيهِ لاجل
المعايدة ولما جاءت لهُ بالثياب السود ناداها قائلاً لماذا

اتيت بهذه الثياب القبيحة في مثل هذا النهار السعيد اعلميني هل مات لنا احد من الاصحاب والمعارف فلما سمعت عمته كلامهُ غلب عليها الحزن حتى لم يعد يمكنها ان تجيبهُ بكلمةٍ ولكن يوسف لم يسكت وقال ان كنتِ لاتريدين ان تقولي لي فانا اسال ابي عن ذلك فعند ذلك هطلت عيناها بالدموع وقالت لهُ من فوادٍ موجوع اعلم ياحبيبي ان اباك هو الذي مات

القضبان السبعة

كان لاب سبعة اولاد وكانوا في اكثر الاوقات يتخاصمون ويتنازعون مع بعضهم البعض وكان الناس يتعجبون من سوء اطوارهم لاسيما اعداهم فانهم كانوا يفرحون من عدم ائتلافهم املاً بانهم بعد موت ابيهم يختلسون ما يصيبهم من الميراث وينفقونهُ في اسرع وقت ولما علم ابوهم بتلك البواطن الخبيثة وكان من عقلا الناس شقَّ ذلك الامر عليهِ واستدعاهم يوماً الى بين

يديه واخذ يوبخهم ويعنفهم على سوء اعمالهم وعدم ائتلافهم بعضهم بعضاً ثم انهُ جاء بسبعة قضبان وضمها بعضها البعض على شكل الحزمة وربطها بحبل والقاها امامهم وقال لهم يا اولادي الاعزاء من منكم يقدر ان يكسر هذه الحزمة فالذي يقدر على ذلك فاني ساعطيهِ الف ريال على سبيل الهدية فاخذوا يجربون واحداً بعد واحد واذ لم يمكنهم ان يكسروها صرخوا جميعاً بصوت واحد ان هذا ليس بممكن فقال لهم ابوهم اني لاعجب من كلامكم هذا مع ان هذا الامر هو من اسهل الامور ثم انهُ حلّ رباطها واخذ يكسر قضيباً بعد قضيب بكل سهولة حتى كسرها جميعاً فقال الاولاد انما على هذا الشكل يا ابانا يسهل على اضعف الاولاد الصغار ان يكسروها . فقال لهم ابوهم ان حالتكم هي اشبه بهذه القضبان طالما انتم مرتبطون ومتحدون مع بعضكم برباط واتحاد اخوي تغلبون وتنجون على كل من يجور عليكم

ويريد لكم ضررًا ولكن اذا اختلفتم وافترقتم فيصيبكم ما اصاب هذه القضبان من التكسير والشتات . انتهى

التاجر وصديقهُ

قيل ان تاجرًا اراد الخروج الى بعض المدن في طلب المعاش وكان عندهُ ماية قنطار من الحديد فاودعها عند رجل من اصحابهِ وكان جارًا لهُ وسافر من يومهِ ثم قدم بعد ذلك بمدة يسيرة فقصد صديقهُ وطلب منهُ الحديد الذي استودعهُ اياهُ فطمع الرجل بالحديد وقال لهُ لا اخفاك يا صاحبي انهُ قد اكلتهُ الجرذان فتعجب التاجر من هذا الكلام الذي لا طائل تحتهُ غير انهُ صادق لهُ على كلامهِ وقال لهُ اني اسمع انهُ لا شي اقطع من انياب الجراذين للحديد ففرح الرجل بتصديقهِ على ما قال وادَّعى ثم ان التاجر خرج فلقي ابنًا للرجل فاخذهُ وذهب بهِ الى منزلهِ وافتقد الرجل ابنهُ ولم يقف لهُ على خبر فتنغَّص عيشهُ وضاق صدرهُ وقصد

ذلك التاجر وقال له هل عندك علم من ابني فقال
له اني لما فارقتك بالامس رايت بازيًا قد اختطف
صبيًّا ولعله يكون ابنك فلطم الرجل على راسهِ والتفت
على من حولهِ من الناس وقال ياقوم هل سمعتم او رايتم
ان البزاة تخطف الصبيان فقال التاجر نعم لاتستعظم
هذا الامر ولا تعجب منهُ ان البلاد التي تاكل جرذانها
ماية قنطار من الحديد ليس بمستنكر ان تخطف
بزاتها الافيلة ايضاً فعند ذلك قرَّ لهُ بالحديد وقال لهُ
اني قد بعتهُ وهذا ثمنهُ فاردد عليَّ ابني فاخذ ماله ورد
اليهِ ابنهُ . معناه اذا صاحب احد صاحباً وكان عديم
الامانة يجب عليهِ ان يتجنبهُ لان صحبة الاشرار تورّث
الشر والمتاعب واما صحبة الاخيار فتورّث الخير والسلامة

المسافران

حُكي عن رجلين كانا في سفرٍ فبينما هما يسيران اذ
نظر احدهما كيسًا مملوءًا من الدنانير مطروحًا على وجه

الارض فاسرع اليهِ وتناولهُ ووضعهُ في جيبهِ فقال لهُ
رفيقهُ هذه لقية ثمينة وانا ارجو يا صديقي ان نقتسمها
سويةً كاخوين فقال انني لا اسلم بهذا الكلام ولا اريد
ان اسمعهُ لانني انا الذي وجدتها والتقطتها وبناءً على
ذلك هي لي وحدي فلما سمع كلامهُ حزن حزناً عظيماً
من معاملتهِ غير الحسنة وسار في طريقهِ ولم يعد يكلمهُ
ولم يمضِ الاَّ برهة يسيرة حتى ادركهما بعض اللصوص
وهو مشهر في يدهِ الحسام فلما راهُ الرجل الذي لقى
الكيس خاف جدًّا لاسيما على الدنانير فالتفت على رفيقهِ
وقال لهُ تعال بنا ندافع سويةً عن انفسنا وهكذا يكون
غير مستطاع للص ان ينتصر علينا لاننا اثنان ضد واحد
فعجّل اذًا وسل سيفك للمدافعة والمقاومة . فقال لهُ اني
لا اسلّم برايك هذا بل ارفضهُ كما انك انت رفضت رايي
ولم تسلّم بهِ اما انا فلا اخشى من اللص لان ليس معي
شيءٌ ياخذهُ مني واما انت اذ جعلت المال نصيبك

وحدك هكذا ايضاً تكون المدافعة عليك وحدك. ولم يمضِ الابرهة يسيرة حتى انتصر اللص على الرجل صاحب الكيس واخذ منهُ الدراهم ولم يفلت من اللص الاَّ وهو مثخن بالجراح والدماءُ تسيل من جسدهِ

الطحان وحمارهُ

ان طحاناً مع ولدٍ لهُ كانا ذات يوم يسوقان امامهما حماراً ليبيعاهُ في مدينةٍ قريبة من قريتهما وبينما هما على تلك الحال واذا بفارس التقى بهما في بعض الطريق فقال لهما يا لكما من مغفلين اهكذا تتركان الحمار يبرطع امامكما فارغاً بدون حملٍ ولا يركبهُ احد منكما فلما سمعا كلامهُ بادر الولد في الحال وركبهُ الاَّ انهُ لم يستوِ بعد على ظهرهِ حتى التقى بهما سائق عربانة فاخذ يلوم الولد وينكّت عليهِ ويوبخهُ بالكلام قائلاً لهُ اما تخجل يامغفَّل ان تركب الحمار وحدك وتترك اباك العاجز ان يزحف ماشياً فتأثرَّ الولد من هذا الكلام ونزل من على ظهر

الحمار عاجلاً واركب اباهُ مكانه وسارا يقطعان الطريق الا انهما لم يبعدا الاَّ قليلاً حتى التقت بهما امراة فلاَّحة حاملة على راسها سلاًّ مملوًّا من الاثمار كانت نازلة لتبيعهُ بالسوق فلما راتهما قالت على سماعهما يا للعجب كيف هذا الرجل يركب مطمئنًا وقد ترك هذا الولد المسكين يمشي بين هذه الاوحال والاشواك فللوقت استوى الولد راكبًا على موءخر الحمار خلف ابيهِ وساقا الحمار سوقًا قويًّا ولما اقتربا من المدينة لقيهما رجل يرعى غنمًا لهُ فصاح باعلى صوتهِ قائلاً يا للقساوة انهما عن قريب يقتلان الحمار. فتحيَّر الاثنان بامرهما ونزلا من على ظهر الحمار والتفت الولد الى ابيهِ وقال لهُ من فوادٍ يضرم غيظًا وحنقًا ماذا يجب علينا الان ان نفعل حتى نرضي العالم باسرهِ هل نحمل الحمار على لوحٍ من الخشب وندخل بهِ السوق او اننا بالحري نلقيه في بعض السواقي ونستريح من القيل

والقال . فاجاب الاب انني الان ارى واضحًا بانهُ غير ممكن للانسان ان يرضي العالم نظرًا لاختلاف عقول البشر لان الانسان اذا استنسب امرًا جيدًا اعترضهُ الآخرون

الدبّ

ان دبًّا هائل المنظر كان يبيت في بعض الاحراش المغضّة وكان الصيادون يلهجون بهِ كثيرًا فسمع يوسف واسعد بخبرهِ وكان من دابهما صيد الوحوش فقالا لبعضهما لا بد لنا ان نصيد هذا الوحش الكاسر فكانا يذهبان في كل يوم الى ذلك الحرش ويترصدان ذلك الدب المذكور ويرجعان في المساء بدون فايدة ويبيتان في لوكندة قريبة من ذلك المكان واذ كانا من فقرا الناس ولم يكن عندهما ما يوفيان فكانا طمعًا واملاً بجلد الدب ياكلان الفخر ما راج من الاطعمة ويشربان من احسن النبيذ ويقولان لصاحب اللوكندة ان جلد الدب

وحدهُ يكون كافياً ليفي عنهما ما يستحق لهُ عندهما وهكذا
كانا يعللان انفسهما بالمحال . فبينما هما ذات يوم يفتشان
على الدب في جوانب الحرش فالتقيا بهِ وهو خارج
من مربضهِ زاحفاً نحوهما بعزمٍ شديد وكانت الارض
ترتج من صدى صراخهِ الهائل فرماهُ يوسف بالرصاص
من يدٍ مرتعشة وقلبٍ خايف فاخطاهُ وذهب الرصاص
باطلاً فرمى في الحال بارودته الى الارض وصعد
عاجلاً الى شجرةٍ قريبةٍ منهُ وكان اسعد ايضاً قد اطلق
عليهِ زناد البارودة فلم يذهب الطلق وكان الدب قد
فاجاهُ فالقى نفسهُ على الارض وامسك عن التنفس
كالقتيل فجاء اليهِ الدب وصار يشم انفهُ وفمهُ واذنيهِ
ولما راهُ عديم الحركة تركهُ ومضى بدون ان يضرَّ بهِ
لانهُ كما لا يخفى ان اجناس هذه الحيوانات لا تمس الجثث
المائتة دون باقي الحيوانات . فلما توارى الدب نزل
يوسف من الشجرة واراد ان يمزح مع رفيقهِ اسعد فتقدم

اليهِ وقال لهُ اني رايت الدب قد وشوشك فاعلمني ماذا قال لك قال قد وبخني توبيخًا عنيفًا وقال لي لقد اخطات انت ورفيقك وماكان يجب عليكما ان تبيعا جلد الدب قبل ان تقتلا صاحبهُ. هذا وقد صحَّ فيهما المثل السائر

لا تقول فول قبل ان يصير بالمكيول

المثالة المفيدة

كان لرجل من اهل بروسيا ابنة اسمها ماريًّا وكانت كلما تكلمت او تحدَّثت تقول يا ربي وكان ابوها كثيرًا ما يوبخّها على ذلك ويقول لها انهُ لا يجوز لكِ ان تذكري اسم الرب في كل وقت بدون سبب ولما رأى انهُ لا يمكنها تبطيل هذه العادة امر الخدامين قائلاً عند الصباح اقصدوا غرفة ابنتي ماريا ونادوها باسمها على جملة مرار فاذا قالت لكم ماذا تريدون قولوا لها لا نريد شيئًا فامتثلوا امرهُ وعند الصباح قصدوا غرفتها واخذوا ينادون ماريا ماريا فلما سمعت صياحهم قالت

لهم ماذا تريدون وما هي حاجتكم قالوا ليس لنا حاجة ثم
رجعوا اليها ونادوا باصوات مرتفعة ياماريا ياماريا
فخرجت اليهم وهي غضبانة وقالت ماهو قصدكم بسوالكم
عني فاجابوها كالاول فقالت اذا كنتم لاتريدون مني
شيئًا فلماذا تدعونني باسمي بدون سبب قالوا قد امرنا
ابوكِ ان نفعل هكذا فغضبت غضبًا شديدًا ثم انها
اجتمعت بابيها وقالت لهُ مرادي ان اترك البيت
واذهب الى مكانٍ آخر لانهُ لم يعد يمكنني ان اقيم هنا
فقال لها وما هو السبب الذي يوجبك الى ذلك قالت
لانك قد امرت الخدامين ان ينادوني باسمي مرارًا عديدة
بدون سبب فما هي الغاية بذلك فقال لها ان كنتِ قد
غضبتِ بمجرد ان الخدامين نادوكِ مرة او مرتين بدون
سبب فكم بالحري الله الذي في اكثر كلامك تذكرينهُ
عبثًا وباطلاً اليس لهُ حق ان يغضب عليكِ لاسيما وقد
علمنا في وصاياهُ بان لانتخذ اسمهُ باطلاً فلما سمعت

ماريا من ابيها هذا الكلام تأثرت جدًا وندمت على ما بدا منها وتابت من يومها ولم تعد تقول ياربي من دون فكر.

نعلة الفرس

قيل ان رجلاً كان ماشيًا ذات يوم مع ابنهِ في الصحراء فوجدا نعلة فرس مطروحة على جانب الطريق فقال الرجل لابنهِ هات هذه النعلة فاحتقرها الغلام ولم يلتقطها فالتقطها ابوهُ ثم انهما سارا في طريقهما حتى وصلا الى دكان فباع الرجل النعلة المذكورة الى رجلٍ هناك بخمسين من الفضة واشترى بثمنها اربعين كرزة ووضعها في جيبهِ وبعد ذلك جدا في مسيرهما وكان الغلام قد عطش عطشًا شديدًا ولم يكن امامهما ماء فشكى لابيهِ ما يلقاهُ من العطش فتناول ابوهُ كرزة والقاها على الارض فانحنى الغلام والتقطها ومصها ثم القى لهُ كرزة اخرى فانحنى وتناولها وما زال يلقي لهُ من ذلك

الكرز واحدة بعد اخرى وهو ينحني ويلتقط حتى نفذ جميع الكرز فعند ذلك قال لهُ ابوهُ لو سمعت مني ما قلت لك والتقطت تلك النعلة التي استخفيت بها وازدريتها لكنت ارحت نفسك واستغنيت من ان تنحني الى الارض اربعين مرة

العوسج

في مساء يومٍ ظريف من ايام شهر ايار كان الخواجه ساج جالساً مع ولدهِ شارل على راس تلة وكان يري ابنهُ جمال الطبيعة البهية التي كانت الشمس تظهرهُ عند غروبها بشعاعها البديع الذي كان يتراءى كحلة ارجوانية فبينما هما في هذه التأمّلات الحلوة واذا براعٍ قد مرّ من تلك الناحية وهو يغنّي وخرافه تتبعهُ فاخذا يتأمّلان بهِ وبغنمهِ وكانت الطريق مكسوّة بالعوسج من الجانبين فكان يتعلق صوف الغنم بالشوك وهو ماشٍ وكان اكثر العوسج قد اكتسى جانباً من صوفهِ

فاشتد غضب شارل على ذلك العوسج والتفت الى ابيهِ وقال انظر يا ابي كيف هذا العليق يخطف صوف هذا الغنم المسكين وانا اتعجب كيف خلق الله هذا النبات المضر فلماذا لا تتفق الناس على استئصالهِ وانا لا اشك بان هذه الاغنام اذا مرَّت مرةً اخرى من هذا المكان لا بد انها ستعرى من باقي ثيابها ولا يبقى عليها اثار الصوف وقد صممت النية ان اقصد هذا الموضع عند الصباح واقطع كل هذه الاشواك بمنجلي الصغير وانا ارجو بانك ترافقني وتكون معك سكين الصيد وهكذا ننتهي من شغلنا قبل وقت الفطور فلما سمع ابوهُ كلامهُ وعدهُ انه سيرافقهُ عند الصباح وبعد ذلك رجعا الى منزلها وبات شارل تلك الليلة وهو يتفكر في ذلك الامر وما هو مزمعٌ ان يجريهُ ببطش ذراعيهِ الصغيرتين على تلك الاشواك ولما اصبح الصباح وصارت الطيور تناغي باغانيها المفرحة معلنةً بفجر النهار نهض

شارل من فراشهِ وايقظ اباهُ من النومِ واذ كان ابوهُ
غير معتنٍ في قطعِ الشوك حسب ما وعد ابنهُ. فلذلك
لم يهتم بالنهوض في ذلك الوقت لان دلامةُ معهُ لم يكن
الاَّ ليريهُ الجمال المدهش عند طلوع النهار ثم انهما لبسا
ثيابهما في اسرع وقت واخذا اسلحتهما وتمشيا قاصدين
المكان المذكور ولما اقتربا الى ذلك العلّيق رايا العصافير
وهي تتطاير من ساير الجهات وتقصد تلك الاشواك
وتحط على اغصانها فعند ذلك قال الخواجه ساج
لولدهِ ان الاوفق يا ابني ان نتأنَّى ونصبر قليلاً على الانتقام
لئَلا نزعج هذه الطيور غير المذنبة فتعال بنا الى التلة
التي كنا جالسين عليها ليلة امس حتى نفحص على اي
شي تفتش هذه العصافير فوق هذه الاشواك ثم انهما قصدا
التلة المذكورة وجلسا عليها واخذا يتاملان في تلك
العصافير واذا بها تحمل بمناقيرها قطع الصوف التي
تعلَّقت على الشوك عند مرور الغنم عليها بالامس وكانا

يريان البلابل والحساسين والنعاعير قد ملات بكثرتها
تلك الاشواك لتستغني من هذه الغنيمة . فتعجب شارل
من هذا المنظر والتفت الى ابيهِ وقال ما هو هذا يا ابي
اجاب وقال اعلم يا ابني ان العناية الالهية تعتني باقل
المخلوقات وتقدم لها كل الوسايط اللازمة لسعادتها
ولحفظها واعلم ياولدي ان هذه الطيور التي تراها تاخذ
ما تجدهُ هنا من لوازمها لفرش المساكن التي تصنعها
سلفًا لاجل اولادها وهكذا بواسطة هذا الصوف
يعدون لانفسهم فرشة طرية لهم ولعبا لهم فاذًا هذا الشوك
الذي غضبت عليهِ بالامس يجعل اتحادًا بين سكان
الهوا وسكان الارض اذ ياخذ ما يزيد عن الغني ليعطي
الفقير احتياجاتهِ الضرورية فهل تريد الان ان تلاشي
هذا الشوك كما كانت نيتك بالامس فاجاب شارل
قائلاً حاشا لي ان افعل ذلك لاني كنت جاهلاً هذا
الامر فقال لهُ ابوهُ اتركهُ اذًا ان ينجو بسلام ما دام

يفعل خيرًا من غاباتهِ

الفصول الاربعة

قال هنري الصغير اذ كان يلعب في الجنينة ويعمل كرات من الثلج آه لوكان فصل الشتاء يدوم فسمعهُ ابوهُ وقال لهُ يا بني انك تسرني ان كنت تكتب طلبك هذا في هذا الدفتر فقيد هنري في دفتر ابيهِ رغبتهُ بدوام فصل الشتا ثم مضى الشتا واتى الربيع وبينما كان هنري مع ابيهِ في الجنينة التي كانت مملوة بالزهور المتنوعة مثل الياسمين والفلّ وزهر الحنّا وهو يستنشق روايحها ويتامل في الوانها البهية قال لهُ ابوهُ هذا هو نبات الربيع وهذا الفصل هو فصل الزهور انظر ما اجمل وما ازكى رايحتها ولكنها لا تدوم الاَّ وقتًا قصيرًا اجاب الولد وقال آه لماذا لا يبقى الربيع مستديمًا فقال لهُ ابوهُ اكتب رغبتك هذه على هذا الدفتر فكتب هنري وهو فرحانٌ وفي احد ايام الصيف الاتي ذهب هنري مع بعض

اولاد من اقاربهِ واصحابهِ الى ضيعةٍ قريبة للنزهة وفي
اثناء مسيرهم كانوا يشاهدون تارةً زرع القمح وهو
اخضر يهب عليهِ الهوا ويتمايل كموج البحر الخفيف
وتارةً يرون ارضًا مكسوَّة بالوف من الزهور الغريبة
الجميلة وتارةً يلتقون بقطعان الغنم وفصلانها وعند
وصولهم الى الحقل صرفوا النهار بتمامهِ تحت ظل الشجر
وهم ياكلون من الكرز والكبوش وغير ذلك من فاكهة
الصيف فلما رجع هنري الى البيت عند المساء سالهُ
ابوهُ اذا كان انشرح ام لا في ذلك النهار وهل للصيف
متنزهات جميلة مخصوصة بهِ كباقي متنزهات الفصول
فاجاب الولد قايلاً اني كنت اريد ان كل ايام السنة
تكون صيفًا فدوَّن ابوهُ ذلك الكلام ايضًا في الدفتر
بحضورهِ ولما ولَّى الصيف واقبل الخريف توجَّهت العيلة
يومًا ما للنزهة في بعض البساتين وكان نهارًا جيدًا
رطبًا مقبولاً والجو رايق وكانت الدوالي مبرزة عناقيدها

من العنب الاسود والاصفر الذهبي والبطيخ رابض تحت امهِ وروايحهُ فايحة واما باقي الاشجار فكانت اغصانها منحنية من ثقل الاثمار التي عليها فكان ذلك النهار من احسن ايام الانشراح والبسط لهنري لانهُ لم يكن يحب شيئاً مثل العنب والبطيخ والتين وبينما كان هنري ملتهياً باللعب واكل الفاكهة اغتنم ابوهُ الفرصة وسالهُ عن فكرهِ من جهة الخريف وقال لهُ اعلم ياولدي ان هذا الفصل الجميل سوف يزول عن قريب والشتاء قادم علينا سريعاً فاجاب هنري قال ليت الشتاء يتوقف عن مسيرهِ ويدوم لنا الخريف لانهُ من احسن الفصول وافضلها وانزهها حينئذٍ اخرج والدهُ الدفتر من جيبهِ واراهُ ماكان كتبهُ سابقاً من جهة دوام باقي الفصول فخجل الولد واحمرّت وجنتاهُ من ذلك وبقي ساكتاً حينئذٍ قال لهُ ابوهُ اعلم ياولدي العزيز بان كل فصول السنة هي جيدة وحسنة وان كل فصل منها لهُ

متنزهات وامتيازات تختص بهِ دون غيرهِ ثم قال لهُ اعلم يا ابني باننا نتعلم من ذلك بان مرغوباتنا وتطلباتنا كثيرًا ما تكون غير مناسبة واننا بالحقيقة لسعدا اذ ليس في استطاعتنا ان ندبر حال الطبيعة فسبحانهُ تعالى اذ عمل كل شي بحكمةٍ وترتيب

الاسد

ان الاسد هو ملك الوحوش واقوى الكواسر وامتن الاربع كبير الراس مدور الوجه واسع الشدقين والصدر ذو همة ونشاط وخفة واشد من الفيل ووحيد القرن قوةً وباسًا واعظمها هيبةً واهولها منظرًا ولا يخاف من مهاجمتها مع انهما اعظم منهُ جسمًا وقدًّا والاكبر بين الاسود لا يزيد طولهُ عن خمسة اذرع من الراس الى طرف الذنب الذي هو نحو ذراعين اما ارتفاعهُ فمن ذراعين الى ذراعين ونصف ويوجد على طرف ذنبهِ حزمة من شعر نحو نصف قيراط طولاً وشعر راسه طويل غليظ

اشبه بالشوشة وهو شرس الاخلاق هائل المنظر وبهِ
يُضرَب المثل في القوة والنجدة وعنقهُ مزيَّن بلحية
يكتسب منها الهيبة ولهُ زمجرة مزعجة جدًّا ومخيفة اشبه
بقعقعة الرعد حتى انها تريع كل حيوانات الدنيا واذا قفز
على فريستهِ تكون قفزتهُ نحو سبعة اذرع وعيناهُ حدقة
مثل البسينة يرى في الظلام كما يرى في النهار وهو
يستوطن في البلاد الحارة ووجودهُ بالاكثر في قارتي
اسيا وافريقيا اما اللبوة اي السبعة فتختلف عن الاسد
بعدم وجود العرف وشعر الراس وبصغر جسمها وهي
غالبًا تلد اربعة اجراء كل مرة واجراؤها في الاول مخطَّطة
لكنها رويدًا تتشبه بشقرة لونها وتتلاشى خطوط جلدها
وهي شديدة المحبة لاشبالها دون باقي الحيوانات حتى
اذا سطا عليها احد واخذ اجراءها تذهب وراءهُ وتتبعهُ
بين الجبال الموعرة والاماكن المخيفة حتى اذا الزم
الحال الى البحر ايضاً ومن خصال الاسد انهُ اذا قنص

فريستهُ لا يأكلها في الحال بل يلعب فيها كما تلعب البسينة في الفارة . وقد شوهد في راس الرجا الصالح ان سبعًا حمل في فمهِ عجلاً بكل سهولةٍ كما تحمل البسينة الفارة وقطع بهِ خندقًا طويلاً بدون ادني مشقة وفريستهُ بين اسنانهِ ولكن مع كل هذه الاوصاف القويَّة عندما يشعر برياسة الانسان وفضلهِ يفقد كل جسارتهِ بحيث ان الصوت البشري يكون كافيًا لتخويفهِ وكان الرومانيون القدماء يتنافسون في صيد الاسود ومقاتلتهم وكان بعض الملوك القياصرة يعتني بتربيتهم وكانوا يعذبون المسيحيين الاولين برميهم اياهم الى الاسود وباقي الوحوش الضارية . ومن جملة مزايا السبع حفظ الوداد والكرم ومعرفة الجميل وقد اخبرنا بعض المورخين عن الاسد هذه القصة قال لما تملَّك الرومانيون زمام الدنيا كان لاحد حكامهم في افريقية عبد اسمهُ اندروكليس وكان سيدهُ يحتقرهُ جدًّا ويعاملهُ معاملة

ردية واذ لم يكن للعبد طاقة على احتمال جور مولاهُ حدثته نفسهُ بالهزيمة والفرار فهرب ذات يوم وقصد جوانب البر وجدَّ في مسيره الى ان وصل الى مغارة عميقة مظلمة وكان في غاية التعب فدخل المغارة ليستريح قليلاً واذا باسد قد اقبل عليهِ وهو يزمجر ويعرج من يدهِ كانهُ متوجعٌ فلما راهُ العبد ارتعش وخاف وايس من السلامة ولكن السبع عوضاً عن ان يفترسهُ تقدم اليهِ بكل هدوءٍ واظهر لهُ دلائل الالم كانهُ يطلب منهُ المعونة والمساعدة فاطمأنَّ العبد وتقدم بجسارة الى السبع واخذ يفحصهُ ليرى ما اصابهُ فوجد شوكة كبيرة قد دخلت بين اظلافهِ فاقتلعها ومسح الدم الذي كان حول الجرح فاستراح السبع عند زوال السبب وانطرح بجانب العبد ونام تاركًا يده في حضنهِ ولما استيقظ الِفهُ وصاحبهُ ومن ذلك اليوم عاش السبع واندروكليس سويةً كصاحبين مدة ثلاث

سنوات وكان في اثناهذه المدة يقتات اندروكليس من
الغنيمة التي كان السبع ياتي بها لكن اخيرًا ضجرت
نفسهُ من هذه المعيشة فاغتنم الفرصة ذات يوم في
غياب السبع وترك المغارة وذهب تائهًا في القفار وهو
ينتقل من مكان الى مكان الى ان وقع في ايدي فرقة
من العساكر الرومانية ولما وقفوا على حقيقة احوالهِ
ارسلوه مقيدًا الى رومية وهناك حكم عليه كعبدٍ هربان
ان يطرح للوحوش الضارية لتاكلهُ كما كانت عادتهم
في ذلك الزمان فاخذهُ العسكر الى بستان الوحوش
واطلقوا عليهِ سبعًا كبيرًا هائلاً فوقع اندروكيلس على
وجههِ الى الارض مغشيًّا عليهِ من شدة الخوف والفزع
وكان السبع لما هجم عليهِ ليفترسهُ تاخر عنهُ عندما راى
وجههُ ووقف امامهُ متعجبًا ثم تقدم اليهِ بهدوءٍ محركًا
ذنبهُ كما يفعل الكلب اذا التقى بسيده واخذ يلحس
يديهِ ورجليهِ بلسانهِ ويشمهُ فعند ذلك رجعت روح

اندروكليس اليهِ واستفاق من غشوتهِ وفتح عينيهِ ونظر
الى ذلك السبع وتامل فيهِ فاذا بهِ نفس السبع الذي
كان رفيقهُ في المغارة المذكورة مدة ثلاث سنين فلما
عرفهُ فرح فرحاً عظيماً وتحول خوفهُ الى سرور ونهض
في عاجل الحال واعتنقهُ كما يعتنق الصاحب صاحبهُ
فانذهل الحاضرون من ذلك الامر واستعظموهُ وبلغ
الخبر الى مسامع الملك فاستدعى العبد اليهِ وسالهُ عن
سبب هذه الصدفة الغريبة فحدثهُ بالقصة وشرح لهُ
واقعة الحال فتعجب غاية العجب وعفى عنهُ واهداهُ
السبع المذكور فاخذهُ العبد وجعل يدور بهِ في ازقة
رومية وكان كل من مرَّ بهما من الشعب ورآهما يقول
هذا هو السبع الذي اضاف الرجل وهذا هو الرجل
الذي شفى السبع

الفيل

ان الفيل هو اعظم ذوات الاربع لان نموهُ الكبير

منهُ يبلغ عشرة اقدام وهو من احذق واذكى الحيوانات موصوفٌ بالفهم والشطارة وجلدهُ خشن عديم الشعر تقريبًا ووجودهُ في الاقاليم الحارة من اسيا وافريقيا ومسكنهُ بين الاحراش المغضة وشواطي الانهر والاماكن الرطبة . اما ذنبهُ فصغير جدًّا . واذناهُ كبيرتان تغطي جانبي راسهُ . وعيناهُ صغيرتان بالنسبة الى عظم هامتهِ . وانفهُ طويلٌ جدًّا وهو المعروف بالخرطوم يستعين بهِ ويستخدمهُ في قضاء حوائجهِ كما يستعمل الانسان يدهُ واصابعهُ وبواسطة هذا الخرطوم يملا الماء ويجمع الحشيش والزهور ويحل الحبال ويفتح الابواب ويغلقها ويفتح القناني ويلم عن الارض اصغر قطعة من الدراهم . وبالجملة فانهُ لا يمكن للفيل ان يستغني عن هذا الخرطوم لان رقبتهُ قصيرة جدًّا ولا يمكنهُ ان يلمس الارض براسهِ ولهُ نابان عظيمان جدًّا يخرجان من فمهِ على كلٍّ من اطراف الخرطوم وهما معوجان اعوجاجًا قليلاً وراساهما

حادّان يستعين بهما كالاسلحة وبهما يريع اعظم الحيوانات الضارية ومنهما يصطنع الناس انصبة السكاكين والمشاط والعلب المنقوشة والمراوح وغير ذلك. قال احد الصيادين انهُ اقتنى نابًا طولهُ عشرة اقدام وتسعة قراريط ووزنهُ اربعة وثلاثون رطلاً. ولقد بيع في مدينة امستردام في هولاندا سن وزنهُ ستون رطلاً. والفيل يتقدم في النمو وعظم الهامة مدة ثلاثين سنة ويعيش من العمر اذا كان فالتا نحو ماية وخمسين سنة واكثر. وهو يقتات في البرية من الحشيش واغصان الاشجار والهرام وما اشبه ذلك ويأكل منها مقدارًا هائلاً. والافيال في البرية على الاغلب تمشي سويةً كقطيع الغنم ويتقدمها الاكبر فيها كقائدٍ ورئيس والذي يكون ثانيًا لهُ في العمر يمشي خلف الجميع واما الاناث والبقية فيمشون في الوسط والصغار الذين لا يستطيعون على المشي فتحملهم امهاتهم في خراطيمها.

والامراء في بلاد الهند كثيرًا ما يفتخرون في صيد هذا الحيوان فيجتمعون احيانًا بجندٍ عظيم من العسكر والصيادين ويصطادونهُ من البراري والاحراش ويربونهُ وبواسطة التربية يصير حيوانًا جويًّا ويتعلم سريعًا جميع الاشائر التي تستعمل لتفهيمهِ حتى والكلام ايضًا وينتبه غاية الانتباه لان يرضي سيده باجراء اوامره بكل خضوع وفطنة ويخدمهُ بامانة كلية ويشتغل بدون ادنى مَلل بشرط انهُ لا يُضرب بدون سبب . والافيال في بلاد الهند تنقل الاحمال الثقيلة من مكانٍ الى مكان وعند تنزيلها عن ظهورها يفكونها بكل انتباهٍ ودقة خوفًا من ان ينكسر او يتلف منها شيء وبعد ان يضعوها على الارض يحركونها بخراطيمهم ليروا ان كانت ثابتة في مراكزها كما يجب ام لا وان وجدوا طردًا او حملاً مقلقلاً فياتون بحجر ويسندونهُ ومن غريب اخباره في الذكا على ما حدثنا بهِ البعض من اهل السياحة

قال انهُ كان لاحد الناس في الهند فيل نبيهٌ جدًّا
ففي احد الايام ركبهُ صاحبهُ قاصدًا دكان احد الخياطين
فعند وصولهِ الى هناك نزل عن ظهرهِ ودخل الى
الدكان ليشتري بعض حاجاتٍ لهُ وبقي الفيل واقفًا
بقرب الباب في انتظار سيده وكان احد صناع الخياط
جالسًا بقربهِ فاراد ان يسلّي ذاتهُ فشكهُ في خرطومهِ
بابرةٍ كانت في يدهِ فتألَّم الفيل ولكنهُ بقي ساكتًا ولم
يتحرك من مكانهِ الى ان ركبهُ صاحبهُ ورجع الى البيت
ثم بعد ايامٍ قليلة ركبهُ ايضًا صاحبهُ قاصدًا ذلك
الخياط المذكور وكان في الطريق بركة ماء مملوة من
الاقذار والاوساخ فوقف الفيل قليلاً وملأ خرطومهُ
من ذلك الماء فتعجب صاحبهُ ولكنهُ لم يعترضهُ بل
انتظر باشتياقٍ ليرى ماذا كان مرادهُ ان يفعل بالماء
ولما وصلا الى الدكان المعهود مدَّ الفيل خرطومهُ
ودفق ما كان فيهِ من الماء القذر على ذلك الصانع

الذي كان قد شكهُ بالابرة في المرَّة الاولى فغرَّقهُ من راسهِ الى قدمهِ فتعجب جميع الحاضرين من تلك الحادثة الغريبة واما الصانع فاخبرهم حالاً بقصتهِ واقرَّ بذنبهِ وصمَّم النيَّة بانهُ لا يعود في المستقبل يسلي ذاتهُ باذيَّة احد الحيوانات

الذئب

ان هذا الحيوان اكبر من الكلب واقرب منهُ هيئة ولونهُ غالبًا اسمر او اصفر غاتم وراسهُ طويل وانفهُ ممصوص وهو من اشرس الحيوانات الكاسرة واضرها نظرًا الى كثرة وجوده وقوتهِ وسرعة ركضهِ وهو كثير العواء عديم الامنية كثير الخيانة اذا كدهُ الجوع عوى فتجتمع لهُ الذئاب ويقف بعضها تجاه بعض فمن ولَّى منها وثب اليهِ الباقون واكلوهُ. حدثنا احد السواح قال دخلت يومًا الى بعض بيوت العرب في البرية فاذا بعجوز جالسة على وسادة وبين يديها شاة مقتولة

وجرو ذئب مقطع اربًا فنظرت اليها كالمدهوش وسالتها عن سبب ذلك فقالت جرو ذئب التقطناهُ من الصحرا وادخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر غدر بنا وقتل شاتنا فقتلناهُ وقطعناهُ خوفًا من اذيتهِ في المستقبل . ومن عجب امره انهُ ينام باحدى عينيهِ والاخرى يقظى حتى تكتفي العين النايمة من النوم فيفتحها وينام بالاخرى احتراسًا على نفسهِ ويستريح بالنايمة

ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي   باخرى المنايا فهو يقظان نايم

وهو اذا خافهُ الانسان وهرب من وجههِ يطمع فيهِ ويدركهُ في الحال ويقتلهُ واذا طمع الانسان فيهِ خافهُ وانهزم . حدثنا بعض المورخين قال كانت امراة في بلاد روسيا راكبة في كروسة على الثلج في فصل الشتا ومعها ثلاثة اولاد صغار فصادفها قطيع من الذئاب فساقت الخيل مسرعة لكن الذئاب استعجلت في سيرها وكانت عتيدة ان تلحقها فرمت واحدًا من اولادها

ثم ساقت باوفر سرعة والذياب توقفت دقيقة لكي تفترس الولد ثم لحقتها ثانيةً فرمت ولدًا ثانيًا · فتوقفت الذئاب ثانية لكن بعد قليل لحقتها ثالثةً فرمت الولد الثالث وساقت كمجنونة حتى وصلت الى بيتها سالمة لكن لما اخبرت الناس بما عملت باولادها نهض فلاَّح من الحاضرين وضربها بفاسٍ على راسها ففلقهُ وقال ان الام التي تسمح باماتة اولادها لاتستحق ان تعيش بعد · اما هو فانحبس مدة لكن حينما سمع الامبراطور قصتهُ اطلقهُ · ومن عادة الذئب الانفراد والوحدة واكثرما يتعرض للغنم في الصبح عند فترة الكلب ونومهِ وفيهِ من قوة حاسة الشم انهُ يدرك المشموم من فرسخ واكثر واذا اكل من فريستهِ وشبع منها لايعود اليها ابدًا · واذا مرض الذيب انفرد عن الذئاب خوفًا منها لانها ان احست بمرضهِ اكلتهُ

الثعلب

هذا الحيوان يميز من الكلب بطول ذنبهِ وحدقة عينيهِ وشعرهُ طويل يستطاب عند الناس للفروة ويوجد منهُ في بر الشام عدد كثير وهو اروغ واحيل الحيوانات الكاسرة في مسك فريستهِ

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً
ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

ومن حيلتهِ انه اذا عجز يوماً عن التقاط صيده يجعل نفسهُ ميتًا فينفخ بطنهِ ويرفع قوايمهُ حتى كل من يراه لايشك بموتهِ فاذا قرب منهُ حيوان او طير وثب عليهِ وصاده · ومن حيلهِ ايضًا اذا تسلطت عليهِ البراغيث حماها وجاء الى النهر ثم يقطع قطعة من صوفهِ ويجعلها في فمهِ وينزل في الماء قليلاً قليلاً فتطير البراغيث فرارًا من الماء حتى تجتمع في تلك الصوفة التي في فمهِ فيلقيها في الماء ثم يهرب · حكى بعضهم

قال مررت على ثعلب فوجدته على تلك الهيئة وقد نفخ بطنه فظننت انه قد مات منذ ايام فتركته فلما دنت منه الكلاب علم ان حياته لا تخفى عليهم فوثب في الحال وتوغر في حرش كان قريباً منه واختفى . ومن غريب امره انه يتخذ لوكره بابين حتى اذا جاء العدو من باب يخرج من الآخر . وهو يخاف من الكلب خوفاً شديداً . حكي عن ثعلب كانت قد زحمته الكلاب فالتجا الى بين قطيع غنم ثم اختفى عن اعين الكلاب وكان بعض الكلاب قد وثب على شاة كانت قد نامت على الارض فهرب الثعلب من خوفها . فوجد ان الثعلب كان قد قتل الشاة وثقب بطنها واختفى فيه . وهو يضر الفلاح باكل الدجاج والعنب وتخريب الكروم ويزور فخاخ الصيادين وياكل ما يجده فيها ويسبح في الماء ولا يجاريه احد في سرعة الركض

الكلب

هذا الجنس لهُ ثلاثة اضراس قاطعة من فوق
واربعة من تحت وخلفها ضرسان طاحنان مناسبان
لاكل النباتات وغيرها وهو بالاجمال حميد الاخلاق
وشديد الامانة وكثير المحبة لصاحبهِ ويتمسك بهِ تمسكاً
صادقاً ويخفر البيوت والمواشي وتوجد فيهِ الاحساس
الحارة دون غيرهِ من الحيوانات. ومن حميد خصالهِ
انهُ يذكر الخير والجميل اكثر من الاساو يلحس اليد التي
تضربهُ وهو الحيوان الوحيد المشهود لهُ بالامانة والحذاقة
والفطنة. وهو الذي يعرف اسمهُ ويفتش على صاحبهِ
اذا غاب او فقد وان لم يجدهُ يدعوهُ بالنبح ويحامي عنهُ
اذا وقع في مهلك الى ان ينقذهُ او يموت من اجلهِ وبالجملة
فانهُ من انفع الحيوانات واخضعها واذكاها. وتوجد
اجناس كثيرة من الكلاب ولكن ليست لهم هذه الاخلاق
الحليمة والخصال الحميدة فان كلاب سيبيريا في

بلاد المسكوب تنفع لسحب الكروسة التي بدون عجلات وتجرها على الجليد بكل سهولة . ويوجد ايضاً منها الجنس الساوقي وهو ضامر الجسم سريع المشي حذق الشم طويل الانف تستعمله الناس لصيد الطيور وقنص الارانب ومن هذه الاجناس نوع يستعمل غالباً لصيد الطيور ومن دابهِ ان يمشي امام مولاه وقت الصيد مفتشاً على الطيور وهو يلحق الطريق بالشم فاذا وجدها يتوقف جامدًا في محلهِ ويشير بانفهِ الى نحوها وعندما يقترب مولاه يثب عليها ويطيرها فيقوسها الرجل بالبارودة فاذا اصابها ووقعت جابها بلا تخزيق الى بين يدي سيده .
والكلاب بوجه العموم هم عرضة لمرض خبيث الذي يجعل عضهم ان يكون قاتلاً وكثيرًا ما يصابون بهذا الداء في ايام الصيف عند هجوم الحر الشديد . وعلامة هذا الداء اطراق الراس وحمرة العينين واعوجاج الرقبة ويكون في صوتهم اذا نبحوا بحة فتعرفهم الكلاب

وتهرب منهم . ومن العجب ما حكاهُ بعض المورخين قال ان كلباً عض بغلة فعضت راكبها فصار مكلوباً فينبغي تجنب الكلاب عند ظهور هذه العلامات والاشاير وعلى الخصوص الاولاد الصغار الذين يذهبون الى المدارس ويجولون بين الحارات والازقة الخارجية وعليهم ايضاً ان يتجنبوا ملامسة او ملاصقة اي كلبٍ كان لايعرفوهُ . ومن غريب نباهة الكلب انهُ اذا مرَّ في طريق مرةً واحدة يتذكرها على الدوام ولايعود يضيع عنها ابدًا . ومن نوادر اخباره في النباهة والصداقة ما حدثنا بهِ احد المورخين قال كان لرجل كلب قد رباهُ واعتنى بهِ وكان الكلب يحبهُ ولا يفارقهُ فخرج ذلك الرجل يوماً الى البرية ومعهُ كلبهُ فاتفق انهُ جاز بقرب دار كان بينهُ وبين صاحبها عداوة قديمة فلما نظرهُ صاحب الدار قبض عليهِ هو وجماعة من جيرانهِ فقتلوهُ ودفنوا جثتهُ في البستان وان الكلب قد حاد عن صاحبهِ

بقدر طاقتهِ وجهدهِ حتى انجرح جرحًا بليغًا فلما نظر ما كان عاد الى بيت صاحبهِ وهو ينبح ويهرُّ وكان لصاحب الكلب امٌّ عجوزٌ فلما رات الكلب قد رجع وحدهُ وهو على تلك الحالة قلقت واضطربت وحدثتها نفسها بان ولدها قد قتل وان هذا الجرح الذي بالكلب هو من قاتل ولدها ومضى اليوم الثاني ولم يرجع ابنها فتاكد عندها صحة ذلك واقامت عليهِ المناحة وواظبت على البكاء هذا والكلب جعل يطوف في شوارع المدينة وازقتها الى ان وقع يومًا بقاتل صاحبهِ بقرب بيتهِ فعرفهُ وهجم عليهِ ونهشهُ وتعلق بهِ ولم يفلتهُ فلما رات الناس ذلك اجتهدت في تخليصهِ من الكلب فلم يمكنهم وارتفعت ضجةٌ عظيمةٌ في السوق وجاء حراس السوق ورأى تعلق الكلب بالرجل فقال انهُ لم يعلق هذا الكلب بالرجل الاَّ ولهُ معهُ حكايةٌ ولعلهُ هو الذي جرحه وسمعت ام القتيل الضجة فخرجت الى السوق فرأت

الكلب متعلقاً بالرجل وكانت عند ما نظرت الرجل
عرفتهُ بانه احد اخصا ابنها فوقع في نفسها انهُ هو الذي
قتلهُ فصاحت على الناس وهي تقول ما قتل ولدي غير
هذا الرجل الذي هو خصمهُ ثم انها تعلقت بهِ وادعت
عليهِ واخذتهُ للمرافعة فانكر قدام الوالي فامر بضربهِ فلم
يقر فسجنهُ فاقام اياماً في السجن والكلب ملازم بابهُ
واذ لم يكن عليهِ بينة واضحة على القتل اطلقهُ فلما خرج
تعلق بهِ الكلب وكان الوالي ينظر الى ذلك فتحقق
عندهُ انهُ هو القاتل هذا والناس قد فرقت بين الكلب
والرجل فذهب الى بيتهُ مطمئناً وكان الكلب يسعى
خلفهُ مجتهداً فامر الوالي وتبعهُ من حيث لا يشعر بهِ
الى ان دخل الرجل بيتهُ فدخل الكلب خلفهُ ثم دخل
الوالي وكبس الدار وكان الكلب قد قصد موضع القتيل
واخذ ينبش عليهِ بمخاليبهِ فامر الوالي بنبش المكان فنُبش
فوجد الرجل المقتول فضرب المتهم ضرباً مؤلماً فاقرّ

على نفسهِ وعلى رفاقهِ فامر بقتلهِ فقتل ووقع التفتيش على الباقين

شهادة الكلب

وحكي ايضاً انهُ كان في مدينة من بلاد الانكليز رجلٌ من اعيان التجار وكان لهُ كلب قد رباهُ صغيراً وكان نادرةً بين الكلاب لقوة فهمهِ ونباهتهِ لانهُ كان يفهم بالاشارة والكلام كما يفهم الانسان بنطق اللسان وكان هذا الكلب عند صاحبهِ بمنزلةٍ عظيمة حتى لم يكن لهُ طاقة ان يفارقهُ ساعة واحدة لكثرة محبتهِ لهُ وولعهِ فيهِ. وكان في تلك المدينة رجلٌ من المتسببين لهُ معرفة وصداقة مع ذلك التاجر وكان كثيراً ما يتردد عليهِ ويتقصده على قرضة دراهم فيعطيهِ مهما طلب من دون ان يسالهُ عن كمبيالة او بينة لامانتهِ بهِ وصدقهِ معهُ فقال ذلك الرجل في نفسهِ ذات يومٍ وقد دخلهُ الطمع ان صاحبي هذا رجلٌ كثير المال

لا يكاد يمسك عني شيئًا ولا بد لي ان العب عليهِ بمبلغٍ
من المال استدينهُ منهُ لوعدةٍ ما حسب ما جرت لي
العادة ثم انكرهُ عليهِ بعد ذلك فقصدهُ يومًا الى المكتب
وكان وقت الغروب عند انصراف الكَتَبة وليس في المكتب
غيرِ التاجرِ وكلبهِ وكان المذكور على همّة الانصراف
وهو يراجع بعض حسابات لهُ فدخل عليهِ ذلك الرجل
وسلم عليهِ وقال لهُ قد جئتك يا صاحب في طلب
خمسماية ليره تعطيني اياها على سبيل القرضة لوعدة خمسة
عشر يومًا وانا ادفعها لك في وقت استحقاقها مع عطاها
وارجو منك عدم المواخذة بتصديع خاطرك في مثل
هذا الوقت فاجابهُ الى ما طلب ودفع لهُ المال ولما
صارت الدراهم في يدهِ قال للتاجر هل تامر بكتابة
الكمبيالة حتى امضيها لك قبل ذهابي وكان قصدهُ
تتميم الحيلة لعلمهِ انهُ لا يوجد احدٌ غيرهما في ذلك
المكان وانهُ لا يطلب منهُ شيئًا من ذلك فقال التاجر

قد امسى المساء وفلّت الكتّاب والدفاتر والاوراق
مغفول عليها فلا حاجة الى كتابة كمبيالة وان كنت
اخاف عليك من الانكار فكلبي هذا يشهد بانك قد
قبضت المال ثم انه التفت الى الكلب وقال له ان
هذا الرجل قد استلم منا خمسماية ليره ووعدانه يقوم
لنا بدفعها بعد مرور خمسة عشر يوماً من هذا الوقت
وصار يشير له بيده الى الدراهم التي اخذها ويعين له
باصابعه عدد ايام الوعدة وكان كلامه هذا على سبيل
المزاح واللعب وكان الكلب كلما اشار له سيده باشارة
يهز براسه ويلعب بذنبه كانه فهم مراد سيده ثم خرج
الرجل من المكتب وتوجه التاجر الى منزله فلما استحقت
الوعدة ولم يحضر الرجل لدفع الدراهم قال التاجر في
نفسه قد استحق مالنا عند صاحبنا فلان ولم يحضر
الدراهم فما عسى ان تكون عاقته عنا ثم افتكر انه لربما
قد سها عنها او لم يتيسر معه المال فصبر عليه ولم يطالبه

مدة ايام وهو لم يحضر فارتاب التاجر من امرهِ وارسل
لهُ غلاماً من الكتبة يطالبهُ بدفع المال فانكر
الرجل وقال للغلام ان سيدك ليس لهُ عندي مال
فرجع واخبر سيده بما قالهُ ذلك الرجل فنهض التاجر
في الحال وصار بنفسهِ اليهِ وطالبهُ بدفع الدراهم المستحقة
عندهُ فقال انهُ ليس لك عندي مال قال نعم ان لي
عندك مبلغ كذا وكذا استقرضتهُ مني في اليوم الفلاني
لوعدة خمسة عشر يوماً وقد انقضى الاجل واستحق دفع
المال وانا لم اطالبك بهِ لاجل الصحبة والوداد الذي
بيني وبينك ولم يكن املي فيك بان اسمع منك هذا
الكلام فقال انا ما استقرضت منك مالاً ولا لك
عندي دراهم فتركهُ التاجر لما عرف سوء نيتهِ وتوجه
الى القاضي ورفع دعواهُ عندهُ فاستدعى القاضي ذلك
الرجل وقال لهُ ان هذا التاجر يقول ان لهُ عندك
خمسماية ليره قد اخذتها منهُ لوعدة خمسة عشر يوماً وقد

حان اجلها من جملة ايام وانت متاخر عن دفعها لهُ
وهو يريد مالهُ منك في هذه الساعة فماذا تقول فانكر
الرجل امام القاضي وقال ان هذا التاجر ليس لهُ عندي
مالٌ وما دعواهُ عليَّ الا زورٌ وبهتان فالتفت القاضي
الى التاجر وقال لهُ قد سمعت ما يقول غريمك فهل
عندك صكٌ عليهِ او بينةٌ فعندك ذلك حكى لهُ
التاجر تفصيل القصة بتمامها وكيف انهُ لما اعطاهُ
المال لم يكن عندهُ احد سوى كلبهِ الذي يشهد لهُ
فقال القاضي وهل يشهد الكلب على هذا الرجل انهُ
استقرض منك دراهم قال نعم فتعجب القاضي وقال
كيف يمكنهُ ان يشهد قال هو يشهد عليك باعطاء
الاشارة ويظهرهُ امامك ولو كان مختلطاً بين ماية
رجل فعند ذلك التفت القاضي على المدعى عليهِ وقال
قد سمعت ما قالهُ صاحبك هذا فما تقول انت قال
ان كان كلبهُ يشهد عليَّ كما يقول فقد قبلت بذلك

وانا ادفع المال مضاعفاً وان ظهر كذبهُ فهو يدفع لي
خمسماية ليره نظير تهمته هذه فقال التاجر قد رضيت
ثم ان القاضي امر الكاتب ان يكتب سجل الدعوى
فكتب وبعد ذلك صار الاتفاق انهُ بعد ثلاثة ايام
يحضر التاجر الى المحكمة ومعهُ الكلب ثم يحضر بعده
المدَّعى عليهِ مصحوباً بجمهور من الناس فان عرفهُ الكلب
وميزهُ من بين القوم واعطى عنهُ اشارةً تصح الشهادة
ويثبت عندهُ المال وهكذا تمت المفارقة واما التاجر
فانهُ انطلق الى مكتبهِ وعند المساء استدعى كلبهُ الى
المكان الذي جلس فيهِ غريمهُ حينما جاء في طلب
الدراهم واخذ يذكرهُ ويبين لهُ بالاشارات والكلام
صفات ذلك الرجل وكيف لم يكن احدٌ حاضراً في
ذلك الوقت غيره وكيف انهُ اشهدهُ عليهِ عندما اخذ
الدراهم وانهُ قد انكر المال وانهُ بعد ثلاثة ايام يتوافقان
للمرافعة ثم قال اني اريد منك ايها الكلب الامين ان

تؤدي شهادتك عليهِ امام القاضي اي ان تميزهُ من بين الناس وتدلّ عليهِ باشارةٍ واضحة لاني قد رهنت كلامي عند القاضي بان ليس عندي شهودٌ سواك وما زال يخاطبهُ بالالفاظ الرقيقة والاشارات التي يفهمها ويعرفها حتى فهم الكلب وعرف مقاصد سيدهِ فصار يهزّ لهُ براسهِ كانهُ يبين لهُ بانهُ قد عرف جميع ما اشار بهِ وبقي التاجر مواظباً الكلب ثلاثة ايام وهو يتكلم معهُ في شان ذلك الى ان كان اليوم الثالث وهو يوم الميعاد فاخذ كلبهُ وسار بهِ حتى دخل على القاضي وكان هذا الخبر قد شاع في المدينة فجاء كثيرٌ من الناس ليروا ماذا يكون وما يظهر من الكلب ثم حضر المدَّعى عليهِ وهو في زيٍّ غريب مصحوبا بجماعةٍ من اصحابهِ وهم لابسون كلبسهِ فوقفوا بعيدًا في ساحة الدار فالتفت القاضي الى التاجر وقال قد جاء غريمك فدع كلبك يميزهُ لنا من بين هولاء القوم الحاضرين لنثبت

شهادته ونحصل لك منه المال فصاح التاجر على الكلب وقال له اريد منك ايها الكلب الامين ان تبين لنا غريمنا الذي قصدنا في اليوم الثلاثي والوقت الثلاثي الى المكتب واخذ منا المال على سبيل القرضة لوعدة كذا ايام واشهدتك عليه وهو الان قد انكره فارغب منك ان تميزه من بين هولاء الناس وتدل عليه باشارة واضحة فاسرع الكلب في الحال وشق ذلك الجمع وهو ينظر ويتفرس في كل انسان منهم وما زال كذلك حتى وقعت عينه على غريم مولاه فعرفه وهجم عليه هجمة الذئب الكاسر واخذ يعضه ويخمشه بانيابه حتى مزق ثيابه ولم يفلته فخاف الرجل وصاح باعلى صوته اشهدوا علي ايها القوم ان مال هذا التاجر صاحب هذا الكلب هو عندي فدعوه يخلصني من انياب كلبه وانا ادفع له ماله مضاعفا فعند ذلك تقدم التاجر ورد عنه الكلب واخذ ماله مضاعفا

وقد تعجبت الناس واندهلت من ذكاء ذلك الكلب وقوّة فهمهِ انتهى ·

ابن آوى

وجمعهُ بنات اوى وسمي ابن اوى لانهُ ياوي الى عواء ابنا جنسهِ ولا يعوي الاَّ ليلاً وصياحهُ يشبه صياح الصبيان وهو طويل المخالب والاظفار وذنبهُ اقصر من ذنب الثعلب والدجاج تخاف منهُ خوفاً شديداً اكثر من خوفها من الثعلب لانهُ اذا مر تحتها وهي على الشجرة او الجدار تساقطت وان كانت عدداً كثيراً وهو عدو الكلب على نوعٍ اخص من غيرهِ فلا يصادفهُ بدون محاربتهِ لكنهُ ليس بشجيع وهو سريع الانهزام حكي كان انسانٌ متوجهاً من محلٍ الى اخر في الليل لابساً جبةً وقبعاً من جلد فهجم عليهِ قطيع من بنات اوى فتحير وخاف وايقن بالموت فخطر على بالهِ ان يجري حيلةً كان قد سمع عنها وهي ان يدبدب على

الارض الى خلف فطرح حاله على يديه ورجليه واخذ يخب وينطنط على هيئة غريبة فابتعدت بنات آوى شيئًا فشيئًا الى انها ولّت مدبرةً وفارقته في الحال

نادرة وهي مثل من لا يكون منتبها لذاته

حدثني بعض اصحابي قال خرجت في بعض السنين قاصدًا البلاد الافرنجية الى ان وصلت الى مدينة كبيرة في تلك البلاد فبينما انا ذات يوم اجول في شوارعها اذ التقاني رجل في بعض الازقة من اهالي تلك البلاد وهو لابس ثيابًا بهية وعليهِ دلايل اهل النعم والاعتبار فلما راني انعطف نحوي وتفرس فيَّ بوجهٍ بشوش وخاطبني بكلامٍ لطيف وسالني عن بلادي فاجبتهُ انني من البلاد العربية وقد جئت زائرًا الى هذه الديار فحادثني قليلاً ثم قال هلم بنا نستريح في بعض القهاوي لانني اريد ان اسالك عن حاجة واخذ بيدي وجاء بي الى قهوة جميلة قريبة من المكان الذي كنا فيهِ فجلسنا فيها وقد بالغ في

اكرامي الى غاية ما يكون وبسط لي الانس والوداعة ولم يترك شيئًا من انواع الحلويات والاشربة الاَّ وطلب احضارها ولجّ عليَّ في العزيمة فتناولت منهُ على قدر امكاني وشكرت فضلهُ على ما رايت منهُ من الاكرام على غير معرفة ثم اخذ يسالني عن محصولات بلاد العرب وعن اسعار القطن والصوف والسمسم والزيت وما اشبه ذلك من الاصناف وانا اجيبهُ حتى امتد بيننا الحديث وطال وقيد الفتهُ وطابت لي عشرتهُ وقام في نفسي لاشك ان هذا الرجل من عمدة تجار هذه المدينة واعيانها وانهُ ما سالني هذه المسائل الاَّ ولهُ فيها تعلقٌ وبقينا على مثل ذلك نحو نصف ساعة ثم نهض من مكانهِ وقال قم بنا نمشي قليلاً فتبعتهُ واخذ يدور بي في الاسواق والشوارع وكلما وصلنا الى سوق يقول هذا السوق الفلاني وهذا المحلُّ الفلاني وما زال على مثل ذلك الى ان خرج بي من المدينة واخذ يشاغلني بالحديث

والكلام حتى ادخلني الى خربة خالية من الناس ثم وضع يدهُ على فمِهِ وصفر صفيرًا شديدًا واذا برجل قد انتصب امامي وكان مختبئًا هناك وفي يدهِ عصا على شبه النبوت اذا وقعت على راس انسان قتلتهُ واذا بصاحبي هجم عليَّ وهو يقول قد وقعت يامسكين ثم مدَّ يدهُ الى جيبي وتناول كيس الدراهم وكان فيهِ مقدار ثلاثة الاف غرش ثم تقدم بعدهُ ذلك الرجل وانطبق عليَّ اسرع من البرق واخذ ساعتي من تحت منطقتي وبعد أن اخذا جميع ما كان معي تركاني وانصرفا الى حال سبيلهما في اسرع ما يكون فاندهشت من ذلك وعرفت ان تلك المؤانسة كانت حيلة من الرجل وقد انطلت عليَّ فرجعت الى المدينة وانا في غاية العجب والانذهال فهذهِ كانت نتيجة انقياد الاعمى فاحترسوا ايها الاولاد من المباشرة والتسليم لمن لاتعرفونهُ حق المعرفة لانهُ قد قل الصدق من بني البشر

حيلة

وحكي انهُ كان ببغداد رجلٌ قد تعلم السرقة من اول عمرهِ حتى صار من اشطر اللصوص ثم تاب وتعاطى اسباب معاشهِ كسائر الناس فصار تاجرًا فاتفق لهُ ذات ليلةٍ انهُ بعد ما قفل دكانهُ وانصرف حسب عادتهِ جاء لص محتال متزييًا بزي صاحب الدكان وفي يدهِ شمعة صغيرة ومفاتيح فوقف على باب دكان الرجل وصاح بالحارس فلما قرب منهُ اعطاهُ الشمعة في الظلمة وقال اشعلها وائتني بها فان لي الليلة شغلًا واني مضطرٌّ الى تميمهِ قبل الصباح فمضى الحارس يشعل الشمعة وهو يظنهُ صاحب الدكان ولم يشك فيهِ فركَّب اللص المفاتيح في الاقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة فاخذها من يده وجعلها بين يديهِ وفتح صندوق الحساب واخرج ما فيهِ من الاوراق وجعل ينظر في الدفاتر ويشير بيديهِ كانهُ يحسب والحارس يغيب

عنهُ قليلاً ثم يتردد عليهِ وينظر اليهِ ولا يشك في انهُ صاحب الدكان الى ان قارب وقت السحر فاستدعى اللص الحارس وكلمهُ من بعيد وقال اطلب لي حمالاً لان مرادي ان انقل بعض بضايع الى داري ليس لي حاجة بها في الدكان فغاب قليلاً وجاء بحمال فحمل عليهِ اربع رزم من اثمن ما يكون وقفل الدكان وانصرف ومعهُ واعطى الحارس درهمين على سبيل الاكرام فلما كان الصباح جاء صاحب الدكان ليفتح دكانهُ فقام اليهِ الحرس بدعواته بطول العمر يشكر فضلهُ فتعجب الرجل من كلامهِ وقد انكر امرهُ وفتح دكانهُ فوجد نصف الشمعة ودفاترهُ مطروحة على الارض وفقد الرزم الاربع فعلم انها حيلة من بعض اللصوص الذي جاء في زيهِ وفعل ما فعل غير انهُ كتم الامر واستدعى الحارس وقال لهُ مَنْ كان الذي حمل الرزم معي من الدكان قال اما طلبت مني حمالاً فجئتك بهِ قال نعم ولكن كنت ناعساً من طول السهر

واريد منك حضور الحمال لاني محتاج اليهِ فمضى الحارس وما غاب الاَّ قليلاً حتى جاء بالحمال فقفل الرجل الدكان واخذ الحمال معهُ ومضى ثم سالهُ الى اين حملت الرزمة معي البارحة فاني كنت ساهياً من غلبة النعاس عليَّ قال الى المكان الفلاني واستدعيت لك البحري الفلاني ونزلت معهُ في القارب فقصد الرجل المكان الذي ذكرهُ الحمال وسال عن البحري المذكور ولما اجتمع بهِ نزل في قاربهِ وقال الى اين اوصلت اخي الذي كان معهُ الاربع رزم قال الى القاطع الفلاني قال اوصلني اليهِ فاوصلهُ فلما صار عند الشاطي قال البحري اتدري من حمل لهُ الرزمة قال نعم فلان الحمال فسال عنهُ ولما اجتمع بهِ قال لهُ امشِ بين يدي فمشى فاعطاهُ شيئاً من الدراهم واستدلَّ منهُ بكل سرعةٍ ولطافةٍ على الموضع الذي حمل اليهِ الرزمة فجاء بهِ الى باب غرفة في موضع بعيد عن الشط قريب من الصحراء

فوجد الباب مقفولاً فاوقف الحمال وفتح القفل بمفاتيح كانت معهُ ودخل فوجد الرزم بحالها واذا في البيت شال كشمير معلق على حبل فلف الرزم فيهِ ودعا الحمال وحملهُ اياها وقصد المكان الذي اتى منهُ واتفق انهُ حين خرج من الغرفة استقبلهُ اللص فراهُ وابصر ما معهُ فاندهش وتحير وتبعهُ حتى وصل الرجل الى الشط وفي الحال استدعى البحري ليعبر بهِ بالسفينة الى الجهة الثانية فطلب الحمال من يحط عنهُ ويعينهُ على تنزيل الرزم الى السفينة فجاء اللص وهو على صورة عابر سبيل فساعدهُ وادخل الرزم الى السفينة مع صاحبها ثم اخذ الشال وجعلهُ على كتفهِ والتفت الى الرجل وقال لهُ استودعك الله يا اخي قد ارتجعت رزمك فاترك لي شالي فضحك الرجل من كلامهِ وقال انزل معي الى الدكان فلا خوف عليك فنزل معهُ واستتابهُ وبعد ذلك اكرمهُ ووهب لهُ شيئاً واصرفهُ ولم يضرهُ بشيء

فمن هذه القصة نستفيد شيئين اولاً ان نتانى لنقدر ان نحصل على مطلوبنا وثانيًا ان نغفر لمن يخطي الينا

اللص المحتال

حكي عن رجلٍ في البلاد الافرنجية انهُ دخل يومًا الى الكنيسة لاجل الصلوة وكان في جيبهِ ستة دنانير من معاملة تلك البلاد لايملك سواها فلما راى كثرة الناس وازدحام الخلايق خاف على الدنانير من اللصوص واهل الطمع ان يخطفوها منهُ كعادة الاشقياء في ذلك فمد يدهُ واخذها من جيبهِ ووضعها في فمهِ فراهُ بعض اللصوص وكان واقفًا في مكانٍ قريبًا منهُ وهو على هيئة التجار فتعجب من حرصهِ لانهُ عرف قصدهُ فتناول في الحال من جيبهِ نحو عشرين دينارًا وجاء حتى وقف بجانب ذلك الرجل ثم نثر تلك الدنانير التي بيده على الارض وصاح على من حولهُ من الناس ممن كان يزحمهُ ان يعينوهُ على التقاط المال الواقع منهُ

فاخذوا يلتقطون ويناولونهُ وكان ممن التقط ايضاً واعطاهُ ذلك الرجل صاحب الستة دنانير وبعد ان اخذ اللص جميع مالهُ بالتمام التفت الى ذلك الرجل ونظر اليهِ بعين الغضب وصاح بهِ كيف يسوغ لك ان تطمع في مالي وتخبي منهُ وانا قد رايتك بعيني عند التقاطك اياهُ وضعت منهُ جانباً في فمك فافتح فاك امام هولاء الحاضرين فاما ان يتحقق صدق كلامي او اكون كاذباً فلما سمع الرجل كلامهُ انذهل وتحير وعلم انهُ ان تكلم بالصحيح فما احدٌ يصدقهُ ولا يسمعون لهُ كلاماً وربما يدَّعي عليهِ الرجل بالسرقة ويسلمهُ الى الحاكم ففتح فاهُ والقى الدنانير التي كانت فيهِ فاخذها منهُ اللص بتلك الحيلة واضطر الرجل الى السكوت خوفاً من العواقب وقد فقد مالهُ وساءَ حالهُ وافتضح بين الناس لكن الله الفاحص القلوب يعرف انهُ بري فسوف يبرئ البار حسب برهِ ويجازي الخبيث على افعالهِ

اللص الخبيث

وحكي عن بعض اللصوص انهُ كان يحتال بشيء لم يسبقهُ اليهِ احدٌ وهو انهُ كلما دخل دارًا ليسرقها في الليل كان يحفر حفرة لطيفة في وسط الدار ويطرح فيها بعض جوزات ويضع بجانبها منديلاً فيهِ نحو ماية جوزة حتى اذا اتفق ان احد الناس نظر الحفرة والجوز في وقت مثل ذلك لا يشك بان انسانًا يلاعب الاخر تحت رهن او لعب قمار وكان ذلك اللص بعد ما يفعل ذلك يدخل الدار ويسرق ما يقدر عليهِ من الامتعة والقماش الثمين فان لم يظن بهِ احدٌ خرج من الدار وحمل ذلك كلهُ ومضى في حال سبيلهِ وان انتبه عليهِ صاحب الدار ترك ما معهُ ومانع عن نفسهِ وطلب الهزيمة فان قدر على المدافعة يكون قد تخلص وان كان صاحب الدار جسورًا قويًا يقاوم اللص ويمانعهُ ويصيح على الجيران ادركونا ياقوم فقد دخلت علينا اللصوص حتى اذا

اجتمعت عليهِ الناس ولم يكن للص سبيلٌ للفرار
يتقدم نحو صاحب الدار ويخاطبهُ بكل وقاحة ما ابردك
يا فاجران لي شهوراً اقامرك بالجوز حتى افقرتني واخذت
كل ما املكهُ فلما قامرتك الان وكسبت منك هذا
القماش طمعت فيَّ وصرت تصيح على الجيران وتدعي
عليَّ باللصوصية بلعب بارد وانا اعلم انك ما صنعت
هذا الَّا حتى اخرج وادع لك قماشك فلا بد لي من
ان افضحك بين جيرانك هذا والناس لا يشكون في
قولهِ ويصدقونهُ لانهم ينظرون الحفرة والجوز وكلما قال
صاحب الدار هذا لص تقول الجيران انما يريد ان لا
يفضح نفسهِ بالقمار فقد ادعى عليهِ اللصوصية ولا يشكون
في انهُ صادق وان صاحب الدار مقامر فيشتمونهُ ويدخلون
بينهُ وبين اللص حتى ينصرف وياخذ الجوز ويفتح الباب
وينفضح الرجل بين الجيران -

ماكر محتال

قال بعض الادباء كنت في قرية ببلاد الروم فمررت يوماً ببعض الشوارع فرايت رجلا قد اجتمع عليه خلقٌ كثير وعليه ثيابٌ وسخة وهو ملقى في الطريق يصيح ويتمرغ في الارض وهو يقول نفسي تشتهي رمانة يااهل الخير والناس يتصدقون عليهِ فقلت في نفسي لابد ان انظر ماذا يصنع وما يكون من امرهِ في مكان بحيث انظرهُ وهو لا ينظرني والدراهم ملقاة الى ان صار وقت الظهر فتاخرت الناس عنهُ فالتفت يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً فقام من مكانهُ وركض مثل الفهد فتبعتهُ من خلف وهو لا يشعر بي الى ان وصل الى بيتٍ كبير فطرق الباب ففتح لهُ فلما اراد الدخول سلمت عليهِ وقلت لهُ هل تقبل ضيفاً قال نعم ادخل فدخلت فرايت داراً واسعة وفي تلك الدار فرشاً كثيراً وبسطاً ومقاعد ووسائد وغير ذلك من الامتعة

النفيسة والاواني الثمينة مما لا يوجد الاَّ في دور الملوك. فاندهلت من ذلك وبقيت في حيرةٍ ثم ادخلني الى غرفة جميلة وقال لبعض الجواري افرشي لضيفنا مرتبةً ففعلت ثم جاءت بطشت وابريق فاغتسل من تلك الثياب التي عليهِ وتعمم بشاش ثمينٍ وجلس على اخرى مقابلي وجعل يحادثني باحسن عبارة فلم تمكث الاَّ قليلاً حتى قدَّمت لنا الجارية اطعمة فاخرة وشرابًا لذيذًا فاكلنا وشربنا وبعد ان فرغنا جاءت جارية اخرى كالبدر ليلة التمام وفي يدها عود فجلست الى جانبنا وجعلت تضرب على ذلك العود الى ان خمرنا بلا خمر ثم جاءت جارية اخرى احسن منها وجعلت تملأُ القدح وتسقينا الى ان اكتفينا ثم قاموا جميعًا من ذلك المجلس وتركوني وحدي وجاءت لي الجارية بلحافٍ فتغطيت بهِ ونمت وقدمرَّ عليَّ ليلة ما رايت اطيب منها فلما كان الصباح دخل عليَّ ذلك الرجل وقال حق

الضيافة ثلاثة ايام ثم قال للجارية جهزي لسيدك الطعام وتركني في البيت ومضى ولمّا انتصف النهار اتى فعدنا الى ما كنا عليهِ امس من الحديث والانبساط ولم نزل كذلك الى يوم الاحد فلما حان وقت الصلوة قال لي ياسيدي لاتصلِّ الاَّ في الكنيسة الفلانية عند المنبر فان لي في ذلك غرضاً والميعاد الى هنا بعد الصلوة فقلت سمعاً وطاعة ثم تركتهُ وانصرفت عنهُ الى الكنيسة الذي ذكرها لي فجلست عند المنبر فلما امتلأَت الكنيسة بالناس صعد القسيس على المنبر وشرع في الصلوة واذا بصاحبي قد دخل الكنيسة وهو بثيابٍ زرية وراسهُ معصوبٌ بخرقةٍ بالية وهو يشق الصفوف الى ان طلع على المنبر وقال للقسيس انا رجل فقير الحال وذو عايلة ولنا ثلاثة ايام ما استطعمنا طعام فقالت لي العائلة اليوم يوم الاحد واهل الخير ياتون الى الكنيسة فقم وامض الى الصلوة لعل الله يفتح عليك بشي نفقات

بهِ فقد هلكنا من الجوع فخرجت متوجهاً الى الصلوة
فلما وصلت الى الزقاق الفلاني رايت كيساً مرمياً على
الطريق فاخذتهُ في يدي فحدثتني نفسي الخبيثة ان ارجع
وقالت لي قد استغنيت بهذا فالى اين تمضي فقلت لها
يانفس اما علمتِ ان هذه اللقطة حرام ولا بد من
اظهارها واشهارها مدة سنة لعلهُ يوجد لهُ صاحبهُ فلا
أطيعكِ على اكل الحرام ولو متُّ جوعاً وقد جئت
بهِ اليك فيكون عندك الى ان يظهر صاحبهُ ففتحهُ
القسيس فوجد فيهِ حلياً بيواقيت ومعادن تساوي
خمساية دينار فتعجب القسيس من امانة هذا الرجل
مع ما هو عليهِ من الفقر والاحتياج فقال للحاضرين
يا اخواني يجب عليكم ان تعينوا فقر هذا الرجل الامين
فانهُ لا يليق بكم ان يكون بينكم رجل كهذا فقيراً على هذه الحالة
فشفقت الناس عليهِ وجعلوا يدفعون اليهِ الدنانير
والدراهم حتى حصَّل مايتي دينار فلما انتهت الصلوة

اذا بصيحة عظيمة قامت في الكنيسة والناس ينظرون الى ذلك واذا امراةٌ عجوز تبكي وتصيح فلما وصلت الى القسيس والناس حولها قال لها ما حالك قالت كنت في الزقاق الفلاني مجتازة وكان معي كيسٌ فسقط مني وقيل لي ان فقيرًا من الفقراء وجده واتى بهِ اليك ثم وصفت لهُ ما في الكيس فاذا هو كما قالت فدفعهُ فاخذته وانطلقت والناس يدعون لذلك الفقير قال الرجل ثم عدت الى بيتهِ فاستاذنت بالدخول فاذن لي فدخلت ورايتهُ جالسًا على احسن هيئة فقال كيف رايت هذه الحيلة فقلت من العجائب غير انك حصلت مائتي دينار ولكن ضيعت شيئًا يساوي خمساية دينار فضحك ثم قال هل تعرف الكيس قلت نعم فقال للجارية قولي لسيدتك الكبيرة ان تاتي ومعها الكيس فجاءت العجوز ومعها ذلك الكيس عينهُ وقال هذه حماتي وهذه حوائج بنتها وقد فعلت ذلك برابطة بيني وبينها فتعجبت

من ذلك عجباً عظيماً وقلت نجني اللهم من الماكرين

بيع براس ماله وكان الطبق زيادة

قيل ان لصين سرقا حماراً فمضي احدهما ليبيعهُ فلقيهُ رجل معهُ طبق فيهِ سمك فقال اتبيع هذا الحمار قال نعم قال امسك هذا الطبق حتى اركبهُ فان كان يعجبني اشتريتهُ منك ولا نختلف على الثمن فاخذ اللص طبق السمك وركب الرجل الحمار وساقهُ طلقاً ثم رجع ثم ركبهُ وفعل كالاول فلما ابتعد عنهُ دخل زقاقاً وما زال يقطع بهِ من زقاق الى زقاق حتى اختفى وانقطع خبرهُ هذا واللص اخذتهُ الحيرة ولم يدرِ اين ذهب الرجل وعرف انها حيلة سلكت عليهِ فرجع ومعهُ الطبق فالتقاهُ رفيقهُ فقال ما فعلت بالحمار هل بعتهُ قال نعم بعتهُ براس مالهِ وربحت هذا الطبق

النمل

ان النمل انواع في الجرم والشكل واللون وهو

ظرًا لصغرهِ ولطافة شخصهِ وخفتهِ من احكم واحذق
الحيوانات ولهُ شمٌّ ليس لشيءٍ من الحيوانات مثل ذلك
فاذا وقع شيءٌ من يد الانسان في موضع لا ترى فيهِ
شيئًا من النمل فلا يلبث ان يقبل النمل كالخيط الاسود
الممدود الى ذلك الشي . ومن عجائبهِ اتخاذهُ الاوكار
تحت الارض يملاها حبوبا وذخاير للشتا وهو حريص
على جمع الغذاء ولغاية حرصهِ تحمل ما يكون اثقل
منهُ وتعاون بعضها بعضًا في الجرّ وتجمع من الحبوب
ما يكفيها سنة او اكثر . وان وجدت شيئًا لا تقدر على
حملهِ اخذت منهُ على مقدار استطاعتها واخبرت جماعة
منها ثم يجتمعن على ذلك الشي ويجررنهُ بجهدٍ وعناء
واذا جمعت من الحب في وكرها وفيهِ عفونة خافت
ان ينبت ويفسد فتقطع كل حبة قطعتين لتذهب
منها قوة النبت وان كان شعيرًا او عدسا تنشرها فان
قوة النبت تزول عنها بالتقشير . ثم تاتي بالحبوب في

بعض الاوقات وتبسطها في الشمس حتى تنال الهوا
وحرا الشمس خوفاً من ان تفسد برطوبة بيتها واذا احست
بالغيم ردّتها الى مكانها خوفاً من وقوع المطر فان ابتل
شيءٌ منها تبسطهُ يوم الصحو في الشمس فسبحان من
الهم النمل على هذه المعاني الدقيقة . وقد يوجد نوعٌ من
النمل الاحمر يستعبد ما يجاورهُ من النمل الاسود ويقودهُ
الى خدمتهِ على الدوام كما يحدث غالبًا بين الناس الاشرار
وعند ما يبتدي بهذا العمل يرسل امامهُ بعض جواسيس
منهُ لتكتشف لهُ الاماكن التي يوجد فيها النمل الاسود
وبعد رجوعِ هذه الجواسيس يخرج النمل الاحمر كما يخرج
الجيش الى القتال على نظام وترتيب العساكر وامام هذا
الجيش الجواسيس وبعض الجبابرة المنتخبة منهُ فتهجم هذه
الجبابرة على حرس معسكر النمل الاسود وفي هذه الهجمة
يقتل كثير من الهاجمات ولكنهنّ دايمًا يغلبنَ اخيرًا
ثم يهجم الجيش كلهُ داخلاً الى وكر النمل الاسود ويخربهُ

بعد قتال شديد وكل نملة تسلب بيضة من بيض النمل الاسود وبعد ذلك ينثني الجيش راجعاً بترتيب حسن وفرح عظيم مكللاً بالظفر والنجاح · وهكذا النمل الاسود الذي يخرج بعد ذلك من بيضهِ يقيم مع السالبات طول حياتهِ خاضعاً لامرها ومظهراً لها المحبة والوداد

الغول

هو حيوانٌ قبيح الصورة هائل المنظر شديد القوة يشابه الانسان والبهيمة · وقيل لهُ الغول لانهُ يغتال الشخص من حيث لا يدري فيهلكهُ · وتزعم العرب انهُ كان يتراءى لهم في الليالي واوقات الخلوات فيمسك عليهم الطرقات ويحاربهم وقد وصفهُ بعضهم فقال

واني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فشدت شدة نحوي فاهوى ... لها كفي بمصقول يمان
لها عينان في راس قبيح ... كراس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج وسراة كلب ... وثوب من عباء او شنان

ذكر احد السوّاح قال خرجت في بعض السنين
قاصدًا قبيلة من قبايل العرب فادركني المساء وانا في
برية موحشة منقطعة عن الناس فالتجأتُ الى خربةٍ
في تلك البقعة للمبيت فنزلت عن فرسي وربطتها
وطرحت لها الشعير وفرشت لنفسي في بعض زوايا
تلك الخربة ووضعت فيها خرجي وبندقيتي ثم اوقدت
نارًا وجلست بجانبها واكلت ما حضر معي من الطعام
وكان قد هجم الليل فاعتراني الخوف والفزع لوحدتي
وانفرادي عن الناس فبينما انا كذلك واذا بشخصٍ
هايل المنظر قد اقبل نحوي من صدر البرية واخذ يتامل
فيَّ ثم تركني ورجع من حيث اتى فازداد خوفي ورعبي
وقلتُ في نفسي ما عسى ان يكون هذا الشخص وقد
تاكد عندي انهُ سوف يرجع اليَّ مرة ثانية ويهلكني
فنهضت من مكاني واتيت ببعض احجارٍ والقيتها بقرب
النار وجعلتها على شكل الانسان النايم وغطيتها بعباءي

واخذت بندقيتي واختفيت في بعض جوانب الخربة
فلما تنصف الليل اقبل ذلك الشخص المذكور وهو
حامل باحدى يديهِ قطعت عمود من رخام لو وقعت
على انسان طحنتهُ ولما اقترب من النار ونظر تلك الكومة
والعباة ظنها شخصي فالقى عليها تلك الرخامة فبادرت
في الحال واطلقت عليهِ الرصاص فصاح صيحة عظيمة
ارتجت منها الارض ثم ولى واختفى عني فحشيت بندقيتي
ولبثت مكاني وما زلت على هذه الحالة الى الصباح
ولما طلعت الشمس شجعت نفسي وركبت فرسي وخرجت
الى الصحراء فوجدت ذلك الشخص مطروحاً على
وجه الارض قتيلا فتاملت فيهِ فاذا هو على صورة
الانسان الاَّ انهُ اعظم جسماً طويل الراس قبيح المنظر
كثير الشعر ولهُ انياب كانياب السباع · واظافر اشبه
بالمناجل فانذهلت من هول منظرهِ وتاكد عندي انهُ
الغول المذكور في قول عنترة بن شداد العبسي حيث

يقول

والغول بين يديَّ يخفى تارة
ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ
بنواظر زرق ووجه اسود
واظافر يشبهن حد المنجلِ

فاطلقت لفرسي العنان وجدّيت في مسيري وشكرت الله تعالى على سلامتي اقول وكانت العرب تسمي اناث الغول السعالى الواحدة منها سعلاة قال عنترة العبسي

ناتي الصريخ على جياد ضمر   خمص البطون كانهن سعالي

وقال اخر

لقد رايت عجباً مذ أمسى   عجايزاً مثل السعالي خمسا

ويزعمون ان السعلاة اذا انفردت بانسان وامسكته صارت ترقصهُ وتلعب بهِ كما تلعب البسينة بالفارة انتهى

الضبع

هو حيوان قبيح المنظر ذو قوة عظيمة يسكن المغائر والكهوف ويجول في الليل ينبش القبور ويجرّ الجيف ويغتذي من جثث الحيوانات وهو اسمر اللون وعلى جسمهِ خطوط سمر وعلى عنقهِ وظهرهِ عرفٌ كثيف وانفهُ اسود واذناه واقفتان كبيرتان وذنبهُ قصير وصوته كصوت الخنزير ويوجد منهُ كثيرًا في اسيا وافريقيا ولهُ ثلاثة اضراس قاطعة على كلٍّ من الجانبين من فوق واربعة من تحت وبها ينوش اعظم العظام. قال احد السوّاح اننا كنا في عذابٍ عظيم من الضباع في البلد وفي البرية لكثرتها وكانت بلدة جوندار ملآنة منها من المساء لطلوع الفجر فكنت اخاف اوقاتًا كثيرة انها تعض رجلي وانا راجع من بيت الملك الى بيتي لانها كانت تزئر حولي مع اني كنت محاطًا بناسٍ مسلحين فاتفق ذات ليلة اني سمعت شيئًا مرَّ من ورائي ذاهبًا

نحو الفرشة فمعنت نظري فرايت عينين كبيرتين مبهرتين متجهتين نحوي فامرت الخادم ان ياتي بضوء فوجدنا ضبعاً واقفاً قرب الفرشة وفي فمهِ حزمتان او ثلاث حزم من الشمع فتناولت الطبنجة واطلقت عليهِ الرصاص وفي الدقيقة بعينها شج الخادم جمجمتهُ بالفاس وبالاجمال كانت الضباع ضربة حيوتنا ومناغة سيرنا بالليل وهلاكا لبغالنا وحميرنا

النمر

ان طول هذا الحيوان يبلغ ثمانية اقدام وعلوهُ اربعة وراسهُ مدور اكثر من الاسد ولون جسمهِ اصفر قاتم من فوق وابيض من تحت ومخطط بالوان حسنة وهو ذو قوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة لا تردعه سطوة احد وخلقهُ في غاية الشراسة والضيق لا يستانس البتة وعنده كبير وعجب بنفسهِ يجول في النهار كما يجول في الليل وهو لخفة جسمهِ قادر على القفز الى مسافة

بعيدة قيل انهُ يخطف عسكريّاً من على فرسهِ من جيش ماشياً على الدرب ولا تلحقهُ الخيالة مهما جاهدوا وجدوا ووجودهُ بالاكثر في بلاد الهند ويوجد ايضاً منهُ في الصين وسورية وغيرها من اسيا الجنوبية . حكي عن ولدين كانا جالسين على شاطي نهر فخرج نمر من الحرش ودنا منهما وجعل يلاعبهما وكان تارةً يلاعبهما وتارةً يختفي في الحرش فاتفق ان مخالب النمر بالصدفة جرحت الولد واجرت الدم فحينئذٍ اخذت اختهُ غصن شجرة كان قريباً منها وضربت بهِ النمر ضرباً قويّاً فرجع النمر الى الحرش ولم يوذِ هما

لطيفة

ومن الحكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد الفرجة على المجانين فلما دخل عليهم راى فيهم شاباً نظيف الصورة يرى عليهِ اثار اللطف ويلوح عليهِ شمايل الفطنة فدنا منهُ وسالهُ عن حالهِ فاجابهُ بالطف عبارة واحسن

اشارة وقال انهُ كان لهُ اشتغال في مبادي امرهِ ثم
عرض لهُ عارضٌ افضى بهِ الى هذه الحالة فسالهُ الملك
مسائل فاجابهُ عن جميعها باحسن جواب وافصح
خطاب فاعجب بهِ عجبًا شديدًا ثم ان المجنون قال للملك
قد سالتني عن مسائل واجبتك عنها واني اريد ان
اسالك سوالاً واحدًا قال وما هو قال متي يجد النايم
لذة النوم ففكر الملك ساعةً ثم قال يجد اللذة حالة نومهِ
فقال لهُ حالة نومهِ ليس لهُ احساسٌ فقال الملك
قبل الدخول في النوم فقال كيف توجد لذة النوم
قبل وجودهِ فقال بعد النوم قال كيف توجد لذتهُ
وقد انقضى فتحير الملك وازداد اعجابهِ بهِ وقال بالحقيقة
ان هذا الرجل من اعقل وافهم الناس ويليق ان يكون
نديمي في هذا اليوم وامران ينصب لهُ تخت باذاء شباكهِ
ثم استدعى بالشراب ولما حضر تناول الكاس فشرب
ثم ملأ الكاس وناول المجنون فقال ايها الملك انت

شربت هذا لتصير مثلي فانا اشربهُ لاصير مثل مَنْ
فاتعظ الملك بكلامهِ ورمى القدح من يدهِ وتاب من
ساعتهِ وامر بتبطيل الخمارات

في الشطرنج

ذكر المورخون ان اول من وضع الشطرنج هو
صصه بن داهر الهندي واسم الملك الذي وضعهُ لهُ شهرام
وكان اردشير بن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة قد
وضع النرد ولذلك قيل لهُ النردشير لانهم نسبوه الى
واضعهُ المذكور وجعلوهُ مثالاً للدنيا واهلها. ويقال
ان صصه لما وضع الشطرنج وعرضهُ على الملك شهرام
المذكور اعجبهُ وفرح بهِ كثيرًا وامر ان يكون في بيوت
الديانة وراهُ افضل اختراع وعلم لانهُ الة للحرب واظهر
الشكر والسرور وقال لصصه اقترح عليَّ ما تشتهي
فقال لهُ اقترحت ان تضع حبة قمح في البيت الاول
ولا تزال تضعفها حتى تنتهي الى البيت الاخير فمها بلغ

تعطيني ولا اريد منك غير ذلك فاستصغر الملك ذلك الطلب واحتقرهُ وانكر عليهِ لكونهِ طلب شيئًا يسيرًا وكان قد اضمر لهُ شيئًا كثيرًا فراجعهُ الملك في ذلك مرارًا عديدة فقال ما اريد الآن تامر لي باعطاء ما طلبت فاجابهُ الى ما طلب واصدر لهُ امرًا بذلك فاستعظم خازن الشون ذلك المقدار عند التجربة وقال لارباب الديوان احسبوهُ فقالوا ما عندنا قمح يفي بهذا ولا بما يقاربهُ فلما قيل للملك استغرب هذه المقالة واحضر ارباب الديوان وسالهم فقالوا لهُ لو جُمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا المقدار فطالبهم باقامة البرهان على ذلك فجلسوا وحسبوهُ لهُ فظهر لهُ صدق ذلك فقال الملك لصصه انت في هذا الطلب الذي طلبتهُ اعجب جدًّا من وضعك الشطرنج لانك طلبت واقترحت ما لم يكن قط في فكر انسان وطريق هذا التضعيف هو ان يضع الحاسب في البيت الاول حبة وفي البيت الثاني

حبتين وفي الثالث اربع حبات وفي الرابع ثمان حبات وهكذا الى النهاية وكلما انتقل الى بيت ضاعف ما قبلهُ قال ابن خلكان ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شي حتى اجتمع لي بعض حساب الاسكندرية وذكر لي طريقًا تبين لي صحة ما ذكرهُ واحضر لي ورقة بصورة ذلك وهو انهُ ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت فيهِ اثنين وثلاثين الفًا وسبعماية وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد اعتبرتها فكانت كذلك ثم ضاعف العدد في البيت السابع عشر وهكذا حتى بلغ ويبة في البيت العشرين ثم انتقل الى الويبات ومنها الى الارادب ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في بيت الاربعين الى ماية الف اردب وسبعماية واثنين وستين اردبًا وثاثين الاردب فقال تجعل هذه الجملة في شونة فان الشونة لا يكون فيها اكثر من هذه ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الفًا واربعة وعشرين

شونة فقال تجعل هذا في مدينة فان المدينة لا يكون فيها اكثر من هذه الشون واية مدينة يكون فيها هذه الجملة من الشون ثم ضاعف المدن حتى انتهى الى البيت الرابع والستين وهو اخر ابيات رقعة الشطرنج الستة عشر الف مدينة وثمانية واربع وثمانين مدينة وقال انت تعلم انه ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا العدد انتهى

تواريخ واختراعات

كان اختراع البارود من راهب من رهبان اوربا سنة ١٣٣٠ سبك الحديد سنة ١٥٤٤ وضع السكاكين سنة ١٥٦٣ وضع الورق الابيض سنة ١٤٩٠ وضع المرايا سنة ١٥٩٠ اختراع الساعات في جرمانيا سنة ١٤٧٧ وضع الزجاج سنة ١١٨٠ السكر سنة ٦٢٥ ادخال علم الحساب من بلاد العرب سنة ٩٩١ ادخال علم الجبر الى اوربا سنة ١٤٩٤ اختراع النظارة

سنة ١٤٤١ ولاية الجزار سنة ١٧٧٦ ولاية الامير بشير الكبير سنة ١٧٩٤ حضور بونابارتة الى مصر سنة ١٧٩٨ حضوره الى عكا سنة ١٧٩٩ خروج الفرنساوية من مصر سنة ١٨٠٠ ظهور الوهابيه سنة ١٨٠٥ اختراع مركب النار سنة ١٨٠٧ اختراع سكة الحديد سنة ١٨١٠ ابطال وجاق الانكشارية سنة ١٨٢٥ تحرير المورة سنة ١٨٢٦ اخذ الفرنساوية الجزاير سنة ١٨٣٠ حكم المصريين على سورية سنة ١٨٣١ خروجهم من سورية سنة ١٨٤٠ اختراع سلك الاشارة سنة ١٨٤٠

في الحلم والجود

حكي عن معن بن زايدة وكان من اجود واحلم اهل زمانهِ انهُ خرج ذات يوم الى الصيد فعطش ولم يجد مع غلمانهِ ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث بنات حاملات ثلاث قرب فسالهنَّ ان يسقينهُ فسقينهُ فطلب من غلمانهِ شيئًا من

المال ليعطهن فلم يجد فدفع الى كل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانتهِ نصالها من الذهب فقالت احداهنَّ ويلكنَّ لم تكن هذه الشمائل الاَّ لمعن بن زايدة فليقل كل واحدةٍ منكنَّ شيئًا من الشعر فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر
ويرمي في العدا كرماً وجودا
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ
واكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانهِ
عمت مكارمهُ الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامهِ من عسجدٍ
كيلا يعوقهُ القتال عن الندا

وقالت الثالثة

ومن جودهِ يرمي العداة باسهمٍ

من الذهب الابريز صيغت نصولها

فينفقها المجروح عند انقطاعهِ

ويشتري الاكفان منها قتيلها

واتفق في ايام ولايتهِ على العراقين اتاهُ شاعر وهو بالبصرة واراد الدخول عليهِ فمنعتهُ الحجاب واذ لم يتمكن من الوصول اليهِ راقبهُ حتى نزل من القصر الى البستان وكان البستان على طرف نهر جار فكتب الشاعر على خشبة هذا البيت

ايا جود معنٍ ناج معنا بحاجتي

فمالي الى معنٍ سواك رسولُ

والقى الخشبة في الماء الذي يدخل البستان فقذفتها المياه الى داخل فراها معن فامر باخذها فقراها ثم قال للخدام ايتوني بصاحبها فاحضروهُ اليهِ فامر لهُ

بخمسة الاف درهم ووضع الخشبة تحت بساطهِ فلما كان اليوم الثاني قراها وطلب الرجل وامرلهُ بعشرة الاف درهم فاخذها الرجل وخاف ان هو بقي يندم معن على ما اعطاه ويسترد منهُ المال فذهب في الحال واخفى نفسهُ فلما كان اليوم الثالث قراها معن وطلب الرجل فقيل انهُ قد رحل فقال معن لقد ساء ظن الرجل فينا وما ذهب الاّ وهو خايف ان استرجع جوابزي منهُ فلو اقام عندي حولاً كاملا كان حقٌ عليّ ان اعطيهِ في كل يوم عشرة الاف درهم حتى لا يبقى لي دينار ولا درهم ومن حديثهِ ايضًا ان اعرابيًا اتاهُ في ايام امارتهِ ودخل عليهِ بغير اذنٍ وهو يريد ان يمتحنهُ فقال

اتذكر اذ لحافك جلد شاةٍ

واذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن نعم اذكر ذلك ولا انساهُ ابدًا فقال الاعرابي

فسبحان الذي اعطاك ملكًا

وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن سبحانهُ تعالى فقال الاعرابي

فلست مسلمًا ان عشت دهرًا

على معن بتسليم الامير

فقال معن ياوجه العرب السلام سنة ان اتيت بهِ اجرت وان تركتهُ اخطات فقال الاعرابي

اميرٌ ياكل الفًا لوذ سرًّا

ويطعم ضيفهُ خبز الشعير

فقال معن الزاد زادنا ناكل ما نشا ونطعم ما نشا فقال الاعرابي

سارحل عن بلادٍ انت فيها

ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن ان جاورتنا فمرحبًا بك وان رحلت عنا فمصحوبٌ بالسلامة فقال الاعرابي

فجد لي يا ابن ناقصةٍ بشيءٍ
فاني قد عزمت على المسيرِ

فقال معن اعطوهُ الف درهم فاخذها الاعرابي وقال

قليلٌ ما اتيت بهِ واني لاطمع منك بالمال الكثير

فقال معن اعطوه الفاً ثانية فتقدم الاعرابي وقبل الارض بين يديهِ وقال

سالت الله ان يبقيك ذخراً
فما لك في البرية من نظيرِ

فقال معن اعطوه اربعة الاف فتقدم الاعرابي الى معن وقال اعلم يا مولاي اني ما اتيت اليك الاَّ لاختبر حلمك وكرم اخلاقك فقط فوجدت فيك من الحلم شيئاً لو قسم على الناس لكفاهم جميعاً ثم اعلمهُ بنفسهِ وردَّ اليهِ المال . واقام عنده اياماً وكان الملك المنصور قد غضب على معن لسبب مشهور فخاف

معن على نفسهِ من القتل فاستتر عنهُ مدة ايام قال معن وكان الخليفة قد جد في طلبي وطلبني طلباً شديداً وجعل لمن يوصلني اليهِ مالاً جزيلاً فاضطرني الامر لشدة الطلب ان اهرب من المدينة ليلا اهلك فعرضت وجهي للشمس حتى اسمر ثم خففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملاً وخرجت من باب حرب وهو احدا بواب بغداد وقصدت البادية لاقيم بها فلما غبت عن الحرس تبعني عبد اسود متقلد بسيف فقبض على خطام جملي فاناخهُ فقلت لهُ ما لك وما مرادك مني قال انت طلبة امير المومنين فقلت لهُ ومن انا حتى اكون طلبة امير المومنين قال انت معن بن زايدة فقلت لهُ يا هذا اتقِ الله عزَّ وجل اين انا من معن قال دع عنك هذا الكلام فاني اعرف الناس بك فلما رايت منهُ الجد وانهُ قد عرفني قلت ان كان الامر كما تقول خذ هذا العقد الجوهر قيمتهُ اضعاف ما يبذلهُ

الخليفة لمن ياتيهِ بي فخذهُ ولا تكون سببًا لسفك دمي فقال هاتهِ فلما اعطيتهُ اياهُ ونظرهُ قال صدقت في قيمتهِ ولست قابلهُ حتى اسأالك عن شيء فان اصدقتني اطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود والكرم الى درجة لم يصل اليها احد من الناس فاخبرني هل وهبت مالك كلهُ قط قلت لا قال فنصفهُ قلت لا قال فثلثهُ قلت لا حتى بلغ العشر فاستحيت منهُ وقلت اظن اني قد فعلت هذا قال ليس بامر عظيم انا رجل فقير الحال ورزقي من الخليفة كل شهر عشرون درهمًا وهذا العقد قيمتهُ الوف دنانير وقد وهبتهُ لك ووهبتك لنفسك ولجودك المشهور بين الناس لتعلم انهُ يوجد في هذا العصر من هو اجود منك فلا عدت تعجب بنفسك وتحتقر بعد هذ اليوم كل جودٍ فعلتهُ ولا تتوقف عن العطا وفعل الخير ثم انهُ رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولّى متصرفًا فقلت ياهذا لقد فضحتني

فلو قتلتني كان اهون عليَّ مما فعلت فخذ ما دفعته لك
فاني غنيٌّ عنه فضحك وقال تريد ان تكذبني في مقالي
هذا فقد اقسمت اني لا اخذه ولا آخذ للمعروف ثمنًا
ابدًا ومضى في حال سبيلهِ قال معن فعجبت من امرهِ
ولقد طلبته بعد ما امنت على نفسي وبذلت لمن ياتيني
بهِ ماشاء فلم اقف له على خبر البتة وكان الارض
ابتلعته وكان معن قد ولي ولاية سجستان في اواخر
عمرهِ فلما كان سنة احدى وخمسين ومایة كان في
دارهِ صناع يعملون له شغلاً فاندس منهم قومٌ من
الخوارج فقتلوهُ في منزلهِ وهو يحتجم فتبعهم ابن اخيهِ
يزيد بن مزيد بن زايدة فقتلهم باسرهم وكان قتله
بمدينة بست من اعمال سجستان ولما قتل معن رثاه
الشعراء باحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن ابي حفصة
وكان شاعرهِ وهي قصيدة من افخر الشعر واحسنه
واولها

مضى لسبيله معنٌ وابقى
مكارم لن تبيد وان تنالا
كان الشمس يوم اصيب معنٌ
من الاظلام ملبسة جلالا
وعطلت الثغور لفقد معن
وقد يروى بها الاسل النهالا
واظلمت العراق واورثتها
مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباهُ
لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل ارض
ومن نجد تزول غداة زالا
اصاب الموت يوم اصاب معناً
من الاحياء اكرمهم فعالا
مضى من كان يحمل كل ثقلٍ

ويسبق فضل نائلهِ السوالا

فليت الشامتين بهِ فدوهُ

وليت العمر مدَّ لهُ فطالا

ولم يكُ كنزهُ ذهباً ولكن

سيوف الهند والحلق المذالا

مضى لسبيلهِ من كنت ترجو

بهِ عثرات دهرك ان تقالا

فلست بمالكٍ عبرات عيني

ابت بدموعها الاَّ انهمالا

وايام المنون لها صروفٌ

تقلب بالفتى حالاً فحالا

كانَّ الليل واصل بعد معن

ليالي قد قرنَّ بهِ فطالا

وقلنا اين ترحل بعد معنٍ

وقد ذهب النوال فلا نوالا

وهي قصيدة طويلة ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة لم ينتفع بشعرهِ فانهُ كان اذا مدح خليفة او من دونهِ يقول لهُ الست انت القايل في مرثيتك

وقلنا اين نرحل بعد معنٍ وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيهِ الممدوح شيئًا ولا يسمع قصيدتهُ . قيل دخل مروان على جعفر البرمكي يومًا فقال لهُ جعفر ويحك يا مروان انشدني من مرثيتك في معن بن زايدة فقال بل انشدك من مدحي فيك فقال جعفر لا بل انشدني من مرثيتك في معن فانشده القصيدة ولما فرغ منها جعل جعفر يبكي ويرسل دموعهُ على خديهِ ثم قال لهُ جعفر هل اجازك على هذه المرثية احد من اولادهِ واهلهِ شيئًا قال لا قال جعفر فلو كان معن حيًّا وسمعها منك كم كان يعطيك عليها قال اصلح الله الوزير ليس باقل من اربعماية دينار قال جعفر اني اظن انهُ كان لا يرضى لك بذلك فقد امرنا لك عن معن

باضعاف ما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض
من الخازن الف وستمائة دينار قبل ان تنصرف الى
قومك فتعجب مروان من فرط كرمهِ ووفور همتهِ فانشد
ارتجالاً يمدح جعفر ويذكر ما سمح بهِ عن معن

نفحت مكافيًا عن قبر معنٍ ... لنا مما تجود بهِ سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيى ... لناديهِ ولم ترد المطالا
بنى لك خالدٌ وابوك يحيي ... بناء في المكارم لن ينالا

ثم قبض المال وانصرف . انتهى

وكان جعفر البرمكي وزير هرون الرشيد سخيًّا
جوادًا عالي الهمة كريم الاخلاق ومما يحكى عنهُ انهُ كان
بينهُ وبين عبد الله ابن مالك الخزاعي عداوة في السرّ
ما كانا يظهرانها وسبب العداوة بينهما ان هرون الرشيد
كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان
جعفر كان يقول ان عبد الله يسحر الخليفة حتى مضى على
ذلك زمانٌ طويل والحقد في قلوبهما فاتفق ان الرشيد

قلد ولاية ارمينية لعبد الله المذكور وسيره اليها فلما استقر
في تختها قصده رجل من اهل العراق كان فيه فضل
وادب وذكاء وفطنة الا انه ضاق ما بيده وفقد ماله
وساء حاله فزور كتابا عن لسان جعفر الى عبد الله ابن
مالك يوصيه فيه ان يشمله بانظاره وسافر اليه في
ارمينية فلما وصل الى بابه سلم الكتاب الى بعض حجابه
فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله بن مالك
ففتحه وقراه وتامل في معانيه فعلم انه مزور فامر
باحضار الرجل فلما تمثل بين يديه دعا له واثنى عليه
وعلى اهل مجلسه فقال له عبد الله ما حملك ان تجيء الي
بعد هذه المسافة والمشقة بكتاب مزور فقال الرجل
اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي
فلا تحتج في منعي بهذه الحجة فان ارض الله واسعة والرازق
حي والكتاب الذي اوصلته اليك من جعفر صحيح غير
مزور فقال عبد الله انا اكتب كتابا لوكيلي ببغداد وامره

فيهِ ان يسال عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني بهِ
فان كان ذلك حقًّا صحيحًا غير مزور قلدتك امارة
بعض بلادي او اعطيتك ماية الف درهم مع الخيل
والنجب الجليلة ان اردت العطا وان كان الكتاب
مزوَّرًا امرت ان تضرب ماتي خشبة وان تحلق لحيتك
ثم امر عبدالله ان يحمل الى حجرة وان يجعل لهُ فيها
ما يحتاج اليهِ حتى يتحقق امرهُ ثم كتب كتابًا الى وكيلهِ
ببغداد مضمونه انهُ قد وصل اليَّ رجلٌ ومعهُ كتاب
يزعم انهُ من حضرة الوزير جعفر بن يحيي وانا قد اسات
الظن واستشبهت بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل
هذا الامر بل تمضي بنفسك وتحقق امر هذا الكتاب
وتسرع اليَّ برد الجواب لاجل ان نعلم صدقهُ من كذبهِ
فلما وصل اليهِ الكتاب ببغداد ركب من ساعتهِ ومضى
الى دار جعفر فوجدهُ جالسًا مع ندمايهِ وخواصهِ فسلم
عليهِ واعطاهُ الكتاب فقراهُ جعفر ثم قال للوكيل عد

اليّ من الغد حتى اكتب لك الجواب ثم التفت الى من حوله من الاعيان بعد انصراف الوكيل وقال ما جزاء من تحمل عني كتاباً مزوراً وذهب بهِ الى عدوي فقال كل واحدٍ منهم مقالاً وجعل كل واحدٍ يذكر نوعاً من العذاب فقال لهم جعفر سبحان الله لقد اخطاتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم بهِ من قلة الهمم وخستها وكلكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من الخليفة وتعلمون ما بيني وبينهُ من الغضب والعداوة وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعلهُ واسطة في الصلح بيننا ووفقهُ لذلك وقيده ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشرين سنة وتنصلح بواسطة هذا الكتاب وقد وجب عليَّ ان افي لهذا الرجل بتحقيق ظنونهِ واكتب لهُ كتاباً الى عبد الله بن مالك مضمونهُ انهُ يزيد في اكرامهِ ويستمر على اعذارهِ واحترامهِ فلما سمع الحاضرون ذلك دعوا لهُ بالخيرات وتعجبوا من كرمهِ ووفور مروتهِ ثم انهُ طلب الورقة

والدواة وكتب الى عبد الله بن مالك كتاباً بخط يدهِ
مضمونهُ وصل كتابك طال الله بقاك وقراتهُ وسررت
بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك
وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زوَّر عني كتاباً ولم
يحمل مني خطاباً وليس الامر كذلك فان الكتاب انا
كتبتهُ وليس بمزوَّر وانا ارغب من جنابك وحسن
شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم باملهِ وامنيتهِ
وترعى لهُ حق حرمتهِ وتوصلهُ الى غرضهِ وان تخصهُ
منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلتهُ في
حقهِ من المعروف والجميل فانا المقصود بهِ والشاكر
عليهِ ثم عنون الكتاب وختمهُ وسلمهُ الى الوكيل فارسلهُ
الوكيل لعبد الله فحين قراه ابتهج بما حواهُ واحضر ذلك
الرجل وكان في غاية الخوف الشديد وهو ينتظر الموت
وقال لهُ اي الامرين الذين وعدتك بهما احب اليك
فقال العطا يامولاي احب الي من كل شي وقد تعجب

غاية العجب فامر لهُ بمايتي الف درهم وعشرة افراس
عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب
المحلاة بالذهب وبعشرين تختًا من الثياب وعشرة من
المماليك ركاب الخيل وغير ذلك من الامتعة والجواهر
النفيسة ثم خلع عليهِ واحسن اليهِ وارسلهُ الى بغداد في
هيئة عظيمة فلما وصل الى بغداد قصد باب دار جعفر
قبل ان يصل الى اهلهِ وطلب الاذن في الدخول عليهِ
فدخل الحاجب الى جعفر وقال لهُ يامولاي ان ببابنا
رجلاً ظاهر الحشمة جميل الخلقة رفيع الشان كثير
الخدم والغلمان يريد الدخول عليك فاذن لهُ بالدخول
فلما دخل عليهِ قبل الارض بين يديهِ فقال لهُ جعفر
مَن انت فقال لهُ الرجل ايها السيد الكريم انا الذي
كنت ميتًا من جور الزمان فاحييتني من رمس
النوائب وبعثتني الى جنة المطالب انا الذي زوَّرت
كتابًا عنك واوصلتهُ الى عبد الله بن مالك فقال لهُ جعفر

ما الذي فعل معك واي شيء اعطاك فقال اعطاني من جميل فضلك ونعمك . وجزيل جودك وكرمك حتى اغناني . وخولني وهاداني . وقد حملت جميع ما اعطاني الى بابك . وساحة اعتابك . والامر اليك . والحكم في يديك . فقال له جعفر ان صنيعك معي اجل من صنيعي معك ولك عليّ المنة العظيمة . واليد البيضا الجسيمة . حيث بدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة فانا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبدالله بن مالك ثم امر له من المال والخيل والتخوت بمثل ما اعطاه عبدالله فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروة هذين الكريمين . انتهى

وكان حاتم الطائي من اجود الناس الذين اشتهروا بالكرم والجود المفرط . الذي لم يسبق اليه احد من الناس وهو القايل

اماوي ان المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الاحاديث والذكرُ

ومن اخبارهِ على ما ذكروا انهُ التقى ذات يوم بقومٍ يريدون النعمان بن المنذر فتقدم احدهم اليهِ وقال اني استحي ان اسالك شيئًا وان لي حاجةً قال وما هي حاجتك قال صاحب لي قد ارحل (اي فقدت راحلتهُ) فقال حاتم خذ فرسي هذه فاحملهُ عليها فاخذها الرجل وربطت الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع امهُ فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .
وقيل اتت على حاتم ليلة مظلمة شديدة البرد كثيرة السحاب والمطر فاشتاقت نفسهُ الى ما تتقي الناس وخاف ان لا يهتدي اليهِ طارقٌ فامر غلامهُ ان يوقد النار ويضرمها في الصحراء لينظر اليها من اضل عن الطريق ليلاً فيقصد النار وقال شعرا

اوقد فان الليل ليلٌ قرٌّ

والريح يا موقدِ ريحٌ صرٌّ

عسى يرى نارك من يمرُّ

ان جلبت ضيفًا فانت حرٌّ

واخبار حاتم في السخاء والجود كثيرة جدًّا

واستدعى بعض الخلفاء شعراء مصر فصادفهم شاعرٌ كان بيدهِ جرة فارغة ذاهبًا بها الى البير ليملاها ماء فتبعهم الى ان دخلوا دار الخلافة فبالغ الخليفة في اكرامهم والانعام عليهم ثم راى ذلك الرجل والجرة على كتفهِ وعليهِ اثوابٌ رثةٌ فقال ما انت وما هي حاجتك فانشد

ولما رايت القوم شدوا رحالهم

الى بحرك الطامي اتيت بجرتي

فاعجب الخليفة كلامهُ وقال لغلمانهِ املاوا جرتهُ ذهبًا فملاوها لهُ فحسدهُ بعض الحاضرين وقال هذا

رجلٌ فقير صعلوك لا يعرف قيمة هذا المال وربما اتلفهُ فقال الخليفة هو مالهُ يفعل فيهِ ما شاء فخرج الى الباب وفرّق الجميع وبلغ الخليفة ذلك فاستدعاه وعاتبهُ فقال

يجود علينا الخيرون بمالهم.

ونحن بمال الخيرين نجودُ

فاعجبهُ ذلك وامران تملأ لهُ مرة اخرى

في الذكا والنباهة

حكي عن رجل من اهل حلب اراد ان يسافر وكان عندهُ مبلغٌ من الدنانير فوضعهُ في كيس وختم الكيس وذهب بهِ الى رجلٍ من اكابر التجار وطلب منهُ ان يودعهُ عندهُ الى ان يعود من سفرتهِ فاخذ التاجر الكيس منهُ ووضعهُ في خزانةٍ وقفل الخزانة واخذ المفتاح وقال لهُ اذهب طيب القلب والخاطر فذهب الرجل في سفرهِ مطمئنًا الى ان قضى حاجتهُ من السفر فعاد الى المدينة ثم ذهب الى ذلك الرجل وطلب

الوديعة ففتح الخزانة واعطاهُ الكيس وهو بختمهِ كما كان فاخذهُ وانصرف الى بيتهِ ثم فتحهُ واذا فيهِ بدل الدنانير دراهم فرجع الى التاجر وطلب الدنانير فانكر ولما الحَّ عليهِ شتمهُ واخرجهُ من دارهِ مهانًا وكان في تلك الايام رجب باشا واليًا على حلب فذهب الرجل اليهِ وقصَّ عليهِ القصة واراهُ الكيس فاخذهُ وتاملهُ فلم يجد فيهِ شبهة ينكَرُ عليها غير انهُ ترك الكيس عندهُ واصرف الرجل الى ان يطلبهُ وكان لهُ جنينة يتنزه بها احيانًا فدخل الى الجنينة وجلس على سجادة ثمينة وامر البستاني ان يحضر لهُ النارجيلة فاحضرها وفي اثناء ذلك القى الجمرة عنها على السجادة وقام وانصرف فجاء البستاني ليرفع السجادة فراى مكان الجمرة قد احترق فخنق فوادهُ خوفًا من المسئولية ومن ساعتهِ بادر الى رجل من الاعجام حاذق في صناعة الرثي واعطاهُ اياها ومن الغد رجع اليهِ فاتى بها وقد عادت سليمة

كما كانت وفي اليوم الثاني دخل رجب باشا الي الجنينة كعادتهِ فبسط لهُ البستاني تلك السجادة فتفرس فيها وامعن النظر فلم يعرف اين مكان الحرق الذي كان بها فنادى البستاني وقال لهُ اني علمت ما فعلت بالسجادة فمن رتى لك اياها فقال فلان فقال عليَّ بهِ في هذه الساعة فذهب البستاني وجاء بهِ ولما مثل بحضرتهِ قال لهُ انت رتيت هذه السجادة قال نعم قال عافاك الله واراه الكيس وقال لهُ هل دخل هذا الكيس تحت يدك فتاملهُ وقال نعم اني رتيتهُ من مدة ايام قال من اين رتيتهُ فتفقدهُ وقال كان مشقوقا من هنا فرتيتهُ قال ومن اعطاك اياهُ لترتيهِ فقال فلان التاجر فصرفهُ ثم دعا بالتاجر وخلا بهِ وسالهُ عن الدعوى فقال ان الرجل اودع الكيس عندي فوضعتهُ في الخزانة ولم المسه حتى اتى فقال وهل كان مفتاح الخزانة لا يزال معك ام يتسلمهُ احدٌ غيرك فقال كلاَّ اني لا اسلمهُ

الى احدٍ فحينئذٍ باح له بما في نفسهِ ووبخهُ توبيخاً عنيفاً وقال لهُ يلزم ان ترد عليهِ الدنانير وتترك لهُ الدراهم التي ابدلت الدنانير بها وانا اكتم لك هذا العار ولا ادع صيتك يثلم بين الناس والاَّ فالحبس والفضيحة فذهب الرجل واتى بالدنانير وانصرف خازياً ودعا رجب باشا بالرجل صاحب الكيس وقال قد وجدت الدنانير عندي فخذها وانصرف انتهى

نادرة

ومما يحكي من هذا القبيل ان رجلاً عجمياً قدم الى بغداد قاصداً الحج وكان معهُ عقدٌ من اللولو النفيس يساوي الف دينار فاجتهد في بيعهِ فلم ينفق معهُ فجاء الى عطارٍ كان قد اصطحب معهُ فاودع العقد عندهُ الى حين رجوعهِ من الحج ثم حج وعاد واتى بهديةٍ الى ذلك العطار وطلب العقد منهُ فقال لهُ العطار من انت وما هذا الذي تدعيهِ وقد طمع في العقد فقال

الرجل انا صاحب العقد الذي اودعتهُ عندك الى حين رجوعي من الحج فقال اني لا اعرفك ولا اودعت عندي شيئًا ثم رفسهُ فرماهُ عن دكانهِ وقال تدعي عليَّ مثل هذه الدعوى الكاذبة يافاجر فاجتمع الناس وقالوا للعجمي ويلك اما عرفت تدعي الَّا على هذا الرجل الصالح وصاروا يشتمونهُ ويتهددونهُ بالكلام فتحير الرجل وضاق صدرهُ وصار يتردد عليهِ في كل يومٍ ويطالبهُ بالعقد هذا والعطار لايزيدهُ الَّا شتمًا وضربًا فقال لهُ احد الناسِ وكان قد شفق عليهِ لو ذهبت الى الخليفة وشكوت لهُ حالك لكان يخلص لك حقك لان لهُ في هذه الامور نباهة ومعرفة فامتثل كلامهُ وكتب قصتهُ على رقعةٍ طويلة وجعلها على قصبةٍ ورفعها امام الخليفة فصاح بهِ وطلبهُ فلما وقف بين يديهِ سالهُ عن حالهِ فاخبرهُ بالقصة على التفصيل فقال اذهب الى العطار نهار غدٍ واجلس على دكانهِ فان منعك

فاجلس في مكان يقابلهُ من الصباح الى المساء ولا تكلمهُ
بكلمة وافعل هكذا ثلاثة ايام فاني امر عليك في اليوم
الرابع واقف امامك واسلم عليك فلا تقم لي ولا تتكلم
معي اكثر من رد السلام وجواب ما اسالك عنهُ فقط
فاذا انصرفت من عندك قم واعد على العطار ذكر العقد
ثم اعلمني ما يقول لك وان اعطاك اياه فتعال بهِ اليَّ
فامتثل العجمي كلامهُ وجاء الى دكان العطار يجلس
فمنعهُ فجلس بمقابلتهِ مدة ثلثة ايام فلما كان اليوم الرابع
اجتاز الخليفة في موكبهِ العظيم فلما راى العجمي صاحب
العقد وقف بالقرب اليهِ وسلم عليهِ فرد عليهِ السلام
وهو لم يتحرك من مكانهِ هذا والناس واقفة في السوق
احتراماً للخليفة فقال لهُ الخليفة يا اخي تجيء الى بلادنا
ولا تاتي الينا ولا تعرض حوايجك علينا فلم يرد عليهِ
الاَّ الكلام اللازم وكان العطار لما نظر وسمع ما سمع
ارتعدت فرائصهُ من الخوف وقال في نفسهِ لو لم يكن

هذا الرجل صاحب مقام واعتبار عظيم في بلاده لما كان الخليفة يخاطبه بمثل هذا الكلام وهو غير مكترث بهِ ولا تزعزع له من مكانهِ وانا اخاف ان هو اوصل خبري اليهِ فلا شك انه يصدقه ولا يطلب منه بينة بل يوخذ مني العقد واعاقب ثم انه بعد انصراف الخليفة التفت الى العجمي وقال له يا سيدي متى اودعتني هذا العقد وفي اي شيء كان ملفوفاً فذكرني لعلي افطن فقال ان صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم نفض جرةً عنده فوقع العقد فقال كنت قد نسيت ولو لم تذكرني الان ما فطنت ثم اعطاه اياه واعتذر له فاخذه الرجل وذهب الى الخليفة واعلمه بواقعة الحال فبعث بهِ مع الحاجب الى دكان العطار فعلق العقد في عنق العطار وصلبه على باب الدكان ونودي عليهِ هذا جزاء من استودع فانكر الوديعة فلما ذهب النهار اخذ الحاجب العقد فسلمه الى العجمي وقال له خذ عقدك واذهب في

حال سبيلك. فذهب الرجل وهو يدعو للخليفة. انتهى

وكان قد ظهر في بعض السنين في الاسكندرية جماعة من اللصوص فكانوا تارةً يفتحون مخازن التجار على حين غفلة من اهلها ويكسرون صناديق الحديد وياخذون ما يجدونهُ هناك من المال وتارةً يصعدون الى سطوح البيوت وينحدرون منها الى الدور ويسرقون ما يقدرون عليهِ من دون ان يكسروا باباً او طاقةً الى غير ذلك من الاعمال اللصوصية وكان لا يمضي يوم او ليلة بدون سرقة مخزن او بيت فشكت التجار واصحاب البيوت الى محافظ المدينة عن هذا الحال فارسل انفاراً من الضبطية واوقع الفحص في الاسواق والحارات ومع ذلك بقي الحال على حالهِ فضجت الناس من ذلك واعرضت قناصل الدول واقعة الحال الى الوالي في مصر وطلبوا منهُ العناية في اظهار الغرماء فشقَّ عليهِ ذلك وحضر بنفسهِ ليكشف عن هذه الحادثة ولما وصل الى الاسكندرية

اجتمع بالقناصل وقال لهم قد بلغني الحال الواقع في المدينة وقد حضرت بنفسي لانظر في هذا الامر ولكن لي عليكم شرط وهو اني اذا قبضت على الغرماء ووجد بينهم اناس من رعاياكم يكون قصاصهم مفوضاً اليَّ وانتم لا يكون لكم اعتراض ولا مداخلة في ذلك اصلاً قالوا نعم وتعهدوا له بذلك ولما كان في اليوم الثاني صنع الوالي وليمة عظيمة في مكان بالقرب من عمود السواري واستدعى اليها جميع قناصل الدول وتجار الافرنج والذوات من الاهالي وقد اكثر فيها من انواع الملاعب والملاهي والبهلوانية والات الطرب وغير ذلك مما يستحق الفرجة فاجتمعت الناس من كل جانب حتى لم يبقَ رجل ولا غلام في الاسكندرية الاَّ وحضر الى ذلك المكان ليشاهد تلك الفرج وكان الوالي قد وضع عشرين الف غرش في صرة وامر بوضعها على راس عمود السواري المشهور الذي يبلغ ارتفاعه نحو ثمانين قدماً فامتثلوا

امرهُ واحتالوا حتى توصلوا بها الى راس ذلك العامود
ووضعوها هناك بارزة لاعين الناس ولما تمّ اجتماع
الجمهور امر احد رجالهِ ان ينادي في الناس ويقول
ان في الصرة التي على راس هذا العمود عشرين الف
غرش وقد امر افندينا الوالي ان الرجل الذي يقدر
على الوصول الى راس العمود تكون هذه الصرة لهُ على
سبيل الانعام فما اتمّ المنادي كلامهُ حتى انتدب من
وسط الجمهور ثلاثة اشخاص من الافرنج وقالوا نحن
نصعد الى راس هذا العمود وناخذ الصرة فقال لهم
اصعدوا فبادر احدهم وصعد بكل خفةٍ ورشاقة ثم
تبعهُ الثاني والثالث وفي اسرع ما يكون من الوقت
صاروا كلهم على راس العمود فتعجبت الناس واندهشت
من رشاقتهم وزلاقتهم ثم انحدروا بالراحة والسلامة
ومعهم الصرة فلما صاروا على وجه الارض امر الوالي
بالقبض عليهم وتركهم تحت الترسيم الى اليوم الثاني

فقبضوا عليهم ووضعوهم في محبس كما امر ثم ان الوالي التفت الى القناصل وقال لهم هولاء هم اللصوص الذين اقلقوا المدينة وسلبوا اموال الناس والدليل على ذلك ان الذي يصعد الى راس هذا العمود هو الذي يصعد الى سطوح البيوت المرتفعة وغيره لا يقدر على ذلك ولا يتجاسر عليه فسلموا له وقالوا انت ابصر فلما كان الصباح امر باحضار الثلاثة فلما وقفوا بين يديه اخذ يتهددهم وطلب منهم مال الناس فانكروا فقتل واحدا منهم وقال للاثنين الباقيين اما انكما تقران بالصحيح فتخلصان والا فعلت بكما كما فعلت بصاحبكما فاقرا بذلك فاسترجع اموال الناس منهما ودفعها الى اصحابها ونفاهما من الديار المصرية فانظر الى هذه الفطنة العظيمة التي توصل بها الى استكشاف هذه الدخيلة الغامضة فسبحان الله اكرم الواهبين انتهى

غريبة

حكي ان امرأة من بعض قرى المتن الذي هو احد مقاطعات جبل لبنان تسلّط عليها فتى من اهل قريتها فكان يتردد اليها ويراودها عن نفسها وهي ممانعة الى ان حضر ليلة وكان زوجها غائبًا فاراد ان يغتصبها عن نفسها وكان في منطقته خنجر فاستلّته غفلة وضربته في شاكلته فوقع قتيلاً وحينئذٍ خافت على نفسها من اهله خوفًا شديدًا فقطعته وجعلته في عدلٍ وحملته في ذلك الليل الى مغارةٍ بالقرب منهم هائلة جدًّا لا يجسر اشجع الناس ان يدخل اليها في النهار فدخلت والقته في جانب تلك المغارة وتحوّلت الى الخروج وبينما هي كذلك اذا شخص قد دخل الى المغارة وهو يتقدّم نحوها فاضطربت اضطرابًا شديدًا وجعلت تدمدم وتهمهم والرجل لا يتوقف عن الدخول فضربته براس القتيل ثم بيده ثم برجله وهو لا ينثني عن عزمه حتى وصل اليها

فقالت يا اخي ستر الله عليك انا امرأةٌ من بلد كذا وقصتي كذا وكذا فاسألك كتم سرّي لئلاّ اهلك انا واهل بيتي واما انت فماذا اتى بك الى هذا المكان فقال كنا جالسين في مكان كذا هذه الليلة وكنا نتحدَّث في الشجاعة ونقول من يتجاسر ان يدخل في الليل الى المغارة الفلانيَّة ويدقُّ فيها مسمارًا فتخاذل الحاضرون وانتدبت انا الى ذلك فاتفق لي معك هذا الاتفاق ثم دقَّ المسمار وانصرف كلٌّ منهما الى مكانهِ فلما عاد الرجل الى بين اصحابهِ الذين كانوا ينتظرونهُ وجدوهُ قد لعب بهِ الشيب فعيروهُ بهِ فقال انا قد شبت كما ترون ولكن لوكان احدكم مكاني لكان مات من الخوف وقص عليهم القصة فتعجبوا من جسارتهِ وكان ذلك في دار والي تلك المقاطعة فاحضر المرأة واهل بيتها الى بلدهِ وقام بمعاشهم الى ان ماتت انتهى

اخبار هندية

هي امرأة حلبية جاءت الى مدينة بيروت وترهبت في بعض اديرة لبنان سنة ١٧٧٠ للمسيح وتظاهرت بالتقوى والقداسة الى ابعد غاية ولما اشتهر امرها بالصلاح ورأت انعكاف وميل ابناء طائفتها اليها حسّنت لبطرك طايفتها ان يبني ديرًا تحت رياستها فاجابها الى ذلك نظرًا لما يعهدهُ من حسن سيرتها وتقواها واعتنى بالمساعدة لها في جمع الاموال لاجل تتميم هذه الغاية وكانت تاتيها الاحسانات من حلب والشام وبيروت ولبنان ثم انها شرعت في بناء الدير المعروف الان بدير بكركي من اعمال كسروان واقامت فيهِ وكانت بعض البنات من اكابر الناس يحضرن الى ديرها يترهبن عندها ويتركن اهلهنَّ وكانت الزوّار تتوارد اليها من كل فجّ عميق فتسجد لها وتتبرك بمسّ اذيالها وتقدّم لها النذور والهدايا وتطلب منها الدعاء والبركة وكانت

تدَّعي انها اذا ركعت للصلوة ترتفع عن الارض ذراعاً او اكثر وانها في بعض الليالي تركب عنزةً عندها وتسافر في تلك الليلة الى الهند وترجع قبل الصباح وهي قد اصحبت شيئاً من جوز الاخضر لكي تفرقهُ هدايا برسم البركة ومن عجيب اعمالها انها كانت اصطنعت لنفسها غرفة صغيرة في الدير المذكور وجعلت ارضها وحيطانها من الخشب وطلتها بالكلس وكانت كثيراً ما تدخل اليها في وقت الحاجة وقد زخرفتها وفرشتها باحسن الفرش الفاخر وعلقت في جوانب حيطانها الصور والتماثيل ووضعت في قفا كل صورةٍ مما يلي الحائط حلقة صغيرة من النحاس وربطتها بالشريط وعملت للشريط منفذاً من داخل الخشب بحيث يصل الى المكان المختص بجلوسها وفتحت لهُ ثقباً وعقدت اطرافهُ بعضها ببعضٍ واتقنت فيهِ الصناعة غاية الاتقان بحيث لا يراهُ احدٌ ولا يشك فيهِ فكانت اذا حركتهُ

بيدها يجذب في الحال تلك الصور فتهتز وتتحرك من اماكنها في وقت واحد وبهذه الوسيلة طغت جماعة من النساء اللواتي كنّ يقصدنها للزيارة والتبرك فكانت تدخل بهنّ الى تلك الغرفة وتركع امامهنّ للصلوة ثم تجذب بيدها ذلك الشريط المذكور خفيةً فتتحرك الصور وتهتز فتندهش النساء وهنّ لا يشككنّ بان تلك الصور كانت تسجد لها نظرًا الى قداستها وصلاحها المشهور فكنّ يشيعنّ عنها مثل هذه الاخبار ويعظمن شانها فانجذبت اليها افكار الناس حتى انهم صاروا يعتبرونها بمنزلة عظيمة تفوق على جميع القديسين والقديسات وقد ارتقت في الصيت والشهرة الى درجة عالية هذا مقدارها حتى ان البطرك والاساقفة كانوا يستشيرونها وينقادون اليها في جميع امور الرهبنة وكانت الراهبات التي عندها تصادق على دعاويها وتزيد عليها في الاخبار والاحاديث وكانت اذا غضبت على واحدة منهن تحبسها وتضيق

عليها اشد المضايقة في الحبس وقيل انها قتلت ثلاثة او اربعة منهنَّ ممن اكتشفنَ على حقيقة احوالها والقتهنَّ في هاويةٍ عندها في الدير وكان من جملة الراهبات التي عندها بنت ابي انطون برتران من بيروت فغضبت عليها يوماً وحبستها وشددت عليها القصاص ولما طال حبسها ارسلت الى ابيها كتاباً تخبره بذلك فحضروا واخرجها من السجن واخبر البطرك بذلك فحضر الى الدير وفحص فوجدها ماكرةً خبيثة فطردها من الدير وكان قومٌ من اهل زوق مكايل يومنون بها فحضرت الى بيت احدهم واقامت عنده زماناً طويلاً ثم انتقلت الى احد الاديرة في كسروان وتركت ما كانت عليهِ في دير بكركي واقامت هناك الى ان ماتت ومن العجب ان القوم الذين كانوا يومنون بها كما مرَّ وهم بنو خضراء وبنو الجاماتي وغيرهم لم يزالوا الى يومنا هذا يعظمونها ويكذبون ما شاع عنها من الاخبار والاحاديث

1692